القاتل المُتنكر

إسماعيل عمر إسماعيل

القاتل المتنكر

إسماعيل عمر إسماعيل

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : رواية

المؤلف: إسماعيل عمر إسماعيل

غلاف الكتاب: فوفا محمد

موك اب الكتاب: جيهان سمير

تنسيق داخلي: سها منصور

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الإهداء

إلى ملكة الجريمة أجاثا كريستي في لحدِها!

"قـــل لـــذلك الـــذي ينتظـــر ســـقوطنا أننـــا كالأشـــجار، نمـــوت عطشـــاً ولكـــن لـــن ننحنـــي لجرعـــة مـــاء، ســـتجف أوراقنـــا وتتســـاقط وتتصـــدع جـــذورنا ولكـــن يُـــدركنا المـــوت ونحـــن فـــي قمـــة شـــموخنا، وقوفنـــا أطـــول من نهر النيل أيها البؤساء".

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

المقدمة

هـــذه الصـــفحات مطلوبـــة قانونيـــاً لأنهـــا تحتـــوي علـــى جـــرائم قتـــل وابتـــزاز واطـــلاق كثيـــف للنيـــران بـــين الأســـطر، ألـــم يُحـــرِّم القانون هذه الاشياء؟

عزيـزي القـاريء مـن الأفضـل لـك أن تسـتخدم السـاتر قبـل أن تخـوض هـذه التجربـة لأجـل ألا تصيبك رصاصة طائشة!

البدايـــة كانـــت مـــن ظـــرف مجهـــول فـــي فنـــاء منـــزل أحمـــد، هـــذا الظـــرف ســـيقوده الـــى أشياء وحقائق أعظم.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ذات ليلةٍ هادئة وساكنة سكون المقابر والمشارح، لا صوت فيها سوى أصوات عقارب ساعة الحائط، استيقظتُ بصوت خطوات في الخارج، فتحتُ نافذتي التي تُطِلُ على فناء المنزل فتسلل الضوء داخل الغُرفة، تساءلتُ في داخلي: هل أشرقت الشمس؟ كم الوقت الآن؟

نظرتُ أعلى الجدار خلفي إلى ساعة الحائط التي أصبحت مركزً لضوء النافذة، عقاربها تُشير للثالثة صباحًا، كيف لتوقيت مثل هذا أن يُصاحب ذلك النور في الخارج، أوجستُ خِيفةً في نفسي وسرعان ما تذكرتُ الشهور العربية فتحتُ التقويم في هاتفي ووجدتُ تاريخ اليوم الرابع عشر من ذو القعدة،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

والحادي والثلاثين من ديسمبر آخر أيام السنة وقد مضت منه ثلاث ساعات، حسنًا لقد كانت الليلة الرابعة عشر والتي تُصادف اكتمال الهلال بدرًا، شيء من الطمأنينة يسري بداخلي، تذكرتُ ذلك الصوت الذي تسبب في استيقاظي صوت خطوات في الفناء، فتحتُ باب غرفتي بهدوء وحذر ثم خرجتُ وفي يدي سلاحي والذي كنتُ أضعه أسفل فراشي كلما آويتُ إليه، كان القمر في أوج توهُجه السلاح في يدي أصبح لامعًا يظهر انعكاسه كلما اصطدم بالظلام، لا أحد في الخارج، نظرتُ من أعلى جدار السور ولا شخصًا هناك أيضًا، المساحات الشاسعة تمتدُ أمام بصري

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

تمتلـــيءُ فراغًـــا، مـــا الـــذي ســـمعتُهُ إذًا؟ لا يُعقــل أنني أتــوهم، عُــدتُ للــداخل فوجــدتُ ظرفًــا ناصــع البيــاض بجانــب بــاب الغرفــة، لِــمَ لَــم أتمكــن مــن رؤيتــه لحظــة خروجــي؟ تلَّفــتُ فــي جميــع الأطــراف ولا أثــر لأحــد، هــل ســقط مــن الســماء؟ عــدتُ للخــارج مــرة أخــرى وأعــدتُ البحــث عــن ذلــك الشــبح، متأكــد أننــي ســمعتُ صــوتًا وذلــك الظــرف فــي الــداخل يؤكــد ذلــك، كيــف دخــل وكيــف خــرج، لا يمكنــه تســلُق الســور إنــه محمــي بالأســلاك الشــائكة منــذ ســنةٍ مضــت، لا يمكــن أن تكــون عبثًــا وقــد خســرتُ فيهــا أمــوالًا طائلــة، رجعــتُ إلــى عتبــة البــاب وتناولــتُ الظــرف مــن الأرض ثــم عــدتُ خارجًا وجلستُ على الأرض وسط الفناء

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

فتحتُه ثم قرأتُ ما بداخله بضوء القمر.

"من القاتل المتنكر إلى المحقق أحمد لا سلام عليك، لم أخسر تحديًا في حياتي وسمعتُ أنك أفضل المحققين والأذكى بينهم فأردتُ أن أتبيَّن ذلك بنفسي إليك لغزًا إن حللتهُ ستُنقذ روحًا وإن لم تنجح بعد غدٍ سأمنحك آخر ولكن سيموت أحدهم قبل ذلك (أنا وأنتَ والقمر قريبان حتى نكاد نسمع صوت أنفاسنا، بعيدان نحتاج رحلة عام لنلتقي، الشمس ساطعة والضياء يغزو المكان لا تسمح لها بالمغيب يا حبيبي فالظلام قاتل) لن أحدد لك وقتًا، هيا إلى العمل، لا تنام".

وضعتُ الظرف ورسالته جانبًا ثم استلقيت على التراب ووجهي لأعلى

واضعًا راسي على يداي أسفلهُ، مَن هذا المعتوه؟ هل يمكن المِزاحِ بأرواح الناس؟ يمنحني لغزًا، إنه مجنون حقًا، غفوتُ في أرضي حتى السادسة صباحًا، رنَّ هاتفي داخل الغرفة مما تسبب في إيقاظي، ذهبتُ وإذا المتصل هو مدير فرع الجريمة رئيسي في العمل ومرة أخرى أسأل نفسي: هل اتفقت معه يا حضرة العميد، لماذا تطرقون بابي في ذات التوقيت؟

أجبتُ على الهاتف: صباح الخير حضرة العميد.

_صباح النور أحمد، أأمل أنني لا أزعجك ولكن الأمر طاريء عليك أن تمر إلى مكتبي فور مجيئك.

ثم أغلق الهاتف.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

هل كل الطواريء ستطرأ على رأسي انا؟ أليس لديكم في المكتب أحد آخر سواي؟ هذه المرة انا لستُ متاحًا، مجنونًا ما أمَّنَني حياة شخص لا أعرفهُ ويتحداني، لقد أصبحت هذه مسألتي الشخصية ولا أُجازف بها، لم أحصل على لقب الأفضل في طبق من ذهب حتى تُعيقون بقائي فيهِ، عفوًا حضرة العميد ولكن دع عِماد يتولى أمرك الطاريء هذا بدلًا عني؛ كل هذا قلته لنفسي، لن أتجرأ أن أتحدث معه هكذا، هو يحترمني جداً وأبادله ذلك الاحترام، الحقيقة أن كل شخص في المكتب يحبني ويحترمني، أجِدُ نفسي وسط الكثير من زملائي في أوقات الاستراحة، كلما وجدوا فرصة

يــأتون إلــي نتبــادل الحكايــات والضــحكات، يســألونني ويستشــيرونني، حببــوني فــي عملــي حتــى بــدأتُ أشــعر بضــيق عنــدما أعــود للمنــزل، أفتقــدهم حقًــا، صــديقي وزميلــي عمــاد يقــول لــي أن أحــدًا مــنهم ســيزوّجني أختــه، هُــم أكثــر مــن مجــرد زمــلاء مهنــة هــم إخــوتي وأصــدقائي، والآن سنعمل جميعًا لحل ذلك اللغز.

الســابعة صــباحًا وجــدتني علــى مكتبــي أُحــدِّقُ بتلــك الرســالة عنــدما جــاءني زميلــي بهــاء الــدين وأخبرنــي أن المــدير ينتظرنــي، بهــاء الــدين هــو شــخص نحيــل الجســد، أصــلع الــراس، رأســه صــغير مســتدير، عينــاهُ غارقتــان فــي محيطهمــا بــين رمــوش غزيــرة، أبًــا لبنتــان وصــبي رضــيع وُلِــدَ

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

مـؤخرًا، سـيبلغ بعـد اسـبوعٍ عامـه الرابـع والثلاثـين، خططنـا لإقامـة حفلـة صـغيرة لـه أنـا ومَـن معـي فـي المكتـب، خرجـتُ مـن مكتبـي وذهبـتُ لمكتـب المـدير فـي الطـابق العلـوي، طرقتـان خفيفتـان علـى البـاب، أتاني صوته من الداخل:

_ادخل!

فتحـتُ البـاب وأقبلـتُ عليـهِ؛ شـخص متوسـط الجسـم يميـلُ للبدانـة، بطنُـهُ بـارزة للأمـام كحُبلـى فـي شـهرها السـادس، وجهـه مسـتدير ويبـدأ شـعر رأسـه مـن وسـطه، عينـاهُ صـغيرتان جاحظتـان يسـتطيع رؤيـة مـا وراء الجـدار أو ربمـا هـي حاسـة ثامنـة، لديـه الكثيـر مـن الحـواس، يهابـهُ كـل المكتـب، قصـير

الطـــول قـــد أكمـــل الآن عامـــه التاســـع والخمســـين، ســـنة وحيـــدة تفصـــله عـــن التقاعـــد، نهـــض مـــن كرســـيهِ وصـــافحني ثـــم أشـــار لأحـــد الكراســـي أمـــام طاولتـــه فجلســـتُ بعـــد الأســـئلة الروتينيـــة عـــن حـــالي وأحـــوالي تبدلت ملامحه للجدية وهو يقول:

_تم اغتيال الفريق أول محمد المصطفى في منزله.

قاطعتُهُ: هل هو

جاء ردهُ قبل أن أكمل جُملتي:

_نعـــم هـــو أفضـــل المحققـــين وأفضـــل المـــدراء الـــذين جلســـوا علـــى هـــذا الكُرســـي، وُجِـــد مقتـــولًا فـــي غرفتـــه اليـــوم فـــي الثانيـــة صـــباحًا، وقـــد طالبـــت الجهـــات العُليـــا ووزارة الداخليـــة أن تُحقِـــق أنـــتَ فـــي هـــذهِ

القضـــية، وصـــلت شُـــهرتك لرئاســـة الدولـــة ووزارة الداخليـــة، بعثـــتُ فريقًـــا لمنـــزل الفقيـــد ســـتكون علـــى رأســـهم ويمكنـــك اســـتبعادهم، الأمـــر كلـــه لـــك، أيُّ ســـؤال فـــي رأســـك ســـتجد عمـــاد الـــدين هنـــاك يُجيبـــك عليـــه، تـــذكر أن هـــذه القضـــية لـــن تمـــوت هنـــا، قلـــيلًا وســـتجدها علـــى كـــل الشاشـــات والقنـــوات لـــذا الأمـــر ســـيتطلب الكثيـــر مـــن العمـــل الجـــاد، هـــي بمثابـــة مصـــعد لـــك، أنـــت ســـتقرر هـــل ستســـتخدمه للصـــعود للأعلـــى أم الهبـــوط لأســـفل ولا تنســـى أنهـــم طـــالبوا بك بالاسم!

قلـــتُ لنفســـي: أيُّ المصـــائب وقعـــت فيهـــا يـــا أحمـــد، ذلـــك المجنـــون لـــم يجـــد وقتًـــا ليلعـــب معـــي إلا اليـــوم؟ مـــاذا ســـأفعل الآن؟ مـــن

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

جهة ذلك المعتوه ومن جهة أُخرى قُتِل معلمي وملهمي ومثلي الأعلى في هذا المجال وهذه أيضًا تُعتبر مسألة شخصية تهمني لن أدع قاتل معلمي يتجول هو يلوح بيديه دون عقاب، ومن أين أتت وزارة الداخلية هذه؟

سألني مديري: شردتَ، ماذا يحدث؟

أخرجتُ الرسالة من معطفي ووضعتُها أمامه:

_افتح هذهِ.

تناولها وقرأها قَطَبَ حاجبيهِ ثم نظر إليّ قائلًا:

_هل تُمازحني؟ مَن هذا الذي يستخدم الناس لأجل لُعبتهِ وإثبات نفسه؟ هذهِ مزحة أكيد، هو يمازحك لا تُشغل عقلك بِهِ، هيا زملاءك ينتظرونك.

_ولكن حضرة العميد لا يمكننا أن نتجاهل هذه الرسالة ونعتبرها مزحة ربما كان جادًا، قد يكون مجنونًا حقًا ويفعلها، لا يمكننا التأكد وغض البصر بينما حياة أحدهم على الحافة.

_حسنًا، هذا الأمر عندي، اذهب أنتَ الآن وأرسل لي عماد.

خرجتُ من مكتبه، وقفتُ أمام المدخل، نفختُ هواءً حارًا من داخلي نحو الفراغ هي آهة مكتومة وغُصة تُشعرني بالتوهان أغمضتُ عيناي وذهني مُشتت:

"ماذا سأفعل الآن؟ سأذهب إلى بيت الفريق ولكن ذلك اللغز لابد لي أن أحله، على أي الأمرين سأركز، ياربي ما هذا الامتحان"

فتحتُ عيناي وإذا ببهاء الدين يأتيني مرة أخرى:

_أحدهم ينتظرك في مكتبك يا أحمد.

قلتُ بعصبية غير مبررة:

_ماذا يحدث يا بهاء الدين تعال لتكون سكرتيري، أخبرني بمواعيد الاجتماعات ومَن ينتظرني ومن يريدني، حسنًا؟

_لا تغضب يا أخي، سأطلبُ أن يحولوني لمكتب آخر بعيدًا عن مكتبك!

لاحظتُ أنني انفعلت في وجهه دون سبب:

_أمزح معك يا هذا!

قال وهو يضع يدهُ على كتفي:

_لا، أنت لم تمزح، بك شيء، أخبرني.

ذهبتُ أمامه وطلبتُ منه أن يتبعني

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

دخلــتُ مكتبــهُ وتناولــت ورقــة وقلــم كتبــتُ لــه ذلـك اللغـز ثـم طلبـتُ منـه أن يعمـل علـى حلِّـهِ مـع بقيـة الأفـراد ويبقينـي علـى اتصـال ثــم توجهــتُ لمكتبــي لأرى ذلــك الــذي ينتظرنــي، لــن أســتغرب إن وجدتُــهُ قــاتلًا آخــر جــاء يُســلمني ملامــح قضــية ثالثــة، أساسًــا المصــائب تــأتي تواليًــا، فتحــتُ بــاب مكتبــي وإذا بــأبي أمــامي جالسًــا علــى الكرســي، انفرجــت ســريرتي وارتســمت بســمةٌ علــى محيــاي، لقــد مــرَّ وقــتٌ طويـل منــذ آخــر لقــاء لنــا، منــذ أن انتقلــت للعاصــمة التقينــا ثــلاث أو أربــع مــرات فقــط، اثنــان منهمــا زُرتُهــم أنــا، وفــي المــرتين الباقيــات أتــى هــو إلــى هنــا مــع والــدتي، أقبــل علــيَّ وأخــذني بــين يديــهِ،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

احتضـــنته حتـــى شـــعرتُ بأضـــلُعي تتمـــزق، قال على الفور:

_تقبلــه الله بواســع رحمتــه، اتصــل بــي أحــد معــارفي فــي الــوزارة وأخبرنــي فــي وقــت مبكــر مــن صــباح اليــوم ثــم أتيــتُ فــورًا، كــان صديقي كما تعلم.

لــم يكــن هنــاك وقــت ليســألني عــن حــالي فهــو يعلــم ارتبــاطي بالفقيــد وحبــي لــهُ، جلســـنا أمـــام بعضـــنا وســـألتُهُ عـــن حالـــه وعن والدتي، طمئنني عليها ثم قال:

_أرى أنهم اختاروك لتولي القضية، هل صحيح؟

رغــم أننــي بلغــتُ السادســة والعشــرين إلا أن أبــي لــم يتركنــي وحــدي أبــدًا، دائمًــا يتبعنـــي باهتمامـــه وســـؤاله عنـــي، لـــم

يسـألني أنـا، لديـهِ مصـادر أخـرى لا أعلمهـا تحمـلُ إليـهِ أخبـار عملـي وتطـوراتي فأجـدهُ يتصـلُ بـي أو يـأتيني كلمـا حـدث شـيء، فـي اليـوم الـذي تـم تكريمـي فيـه، اتصـلت لأخبـرهُ ففـاجئني قبـل أن أبـدأ حـديثي وهنئنـي ثـم عنـدما كنـا نُوشـك القـبض علـى المجـرم فـي قضـيتي قبـل الأخيـرة تلقيـتُ رصاصـة فوجدتُـهُ أمـامي فـور أن خرجـتُ مـن غرفـة العمليـات، الآن لا أسـتغرب أنـهُ يعلـم بـأن الـوزارة إختـارتني لهـذه القضـية، ولا داعـي لسـؤاله عـن كيفيـة حيازتـه لتلـك المعلومة، سيردُ لي بجملته المعهودة:

_لدي مصادر تعلمها جيدًا.

لا أنكـر ذلـك، لديـهِ مصـادر لكـن لا أعلمهـا، كيف لا وهو يتبع لوزارة العدل

والعدل والداخلية كأخوات، بنات عَم، أجبتُهُ:

_نعم، لقد كنتُ متجهًا إلى مسرح الجريمة الآن، هل تأتي معي؟

وافق على الحضور بعدما أصررتُ عليهِ خرجنا وانطلقنا لأحياء بُري حيث بيت الفقيد، وجدتُ أفضل المحققين أمامي يترأسهم صديقي عماد الدين ذلك الذي يطاردني دائمًا لينتزع مني درع الأفضلية، نخوضُ حربًا فيما بيننا ويتجدد التحدي في كل سنة، يسحبني من يدي كلما نزلتُ من منصة التكريم، يشدني ويقول ضاحكًا:

_أعلمُ أنك دفعتَ لهم لتكون الأفضل ولكن هذه آخر سنة تصعد فيها المنصة.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بذات الضحكة يُكمل جملته:

_لكن اعلم أنك الأفضل حقًا، لقد استحققت ذلك عن جدارة واعلم أنني خلفك، لا تتعثر حتى لا تجدني أمامك.

أُحبُ التحديات كثيرًا وربما هذا ما جعلني ألتحِق بسلك التحقيق، أُحب الغموض عامة وكشف المستور، لو اشتغل عماد بصمت دون أن يتحداني علنًا ربما كان بالإمكان أن يكون أمامي ولكنه يتحداني أمام الجميع، كل المكتب يعلم أننا نخوضُ حربًا طوال السنة، أنا لأحافظ على مركزي وهو ليسلبه مني بإجتهاده، دون ذلك نحنُ صديقان حد الحُب، كان قد واجه بعض الصعوبات بسبب مقال صحفي نشره أحد الأشخاص

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وقـــد اكتشــفنا لاحقًـــا أن المقـــال كـــان محـــض افتـــراء ولكـــن عمـــاد لـــم يطـــارد ذلـــك الصــــحفي أبـــدًا فأردنـــا مواجهتــه لوحـــدنا ولكــن عمــاد منعنــا أيضًــا وقــال طالمــا هنــاك مَــن يحــاول إعــاقتي فهــذا يعنــي أننــي علــى الطريـــق الصـــحيح، تبـــادل التحيـــة مـــع والـــدي، لقـــد كـــان يعرفـــه، التقيـــا عـــدة مـــرات وذهـــب معـــي مـــرة لمدينـــة كوســـتي عنـــدما كنـــتُ أقـــومُ بزيـــارة والـــداي العـــام قبـــل الماضـــي، ســـألتُهُ عـــن القضـــية وعمـــا يعرفـــه حتى الآن فبدأ بسرد الأحداث:

_لقـــد تنـــاول الضـــحية عشـــاءهُ عنـــد الثامنـــة وقبـــل أن يغـــادر المائـــدة أخبـــر زوجتـــه أن تُوقِظـــهُ لتنـــاول دواءهُ فـــي الثالثـــة صـــباحًا ثـــم نهـــض وذهـــب لفراشـــه، لـــم يـــراهُ أحـــد بعـــد

ذلك إذ كان لا يدخل عليه أحد بعد العشاء إلا زوجته أو في حال هو طلب شيئًا من شخص آخر في المنزل.

سألتُهُ: مَن يوجد في المنزل غيره وزوجته؟

_مُربية أطفال تقوم برعاية أبناء ولده وزوجة ابنه وإمرأة تعمل في المطبخ وبنتان من الخدم ورجلٌ عجوز يهتم بالحديقة وهذا يأتي كل يوم عصرًا ثم يخرج بعد العشاء مباشرة، وزوجة الفقيد، لديه ابن في الحادي والعشرين من العمر هاوي خمور وفتيات وابنه الأكبر في الثلاثينيات ولكنه خارج البلاد في رحلة عمل.

_زوجته هي مَن اكتشفت الجثة، صحيح؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لا، جـــاءت المربيـــة لتُوقظـــه لتنـــاول دواءه فوجدتـــهُ ميتًـــا ثـــم حاولـــت إيقـــاظ زوجتـــه وعنـــدما لـــم تســـتيقظ هـــي الأخـــرى ذهبت المربية وأخبرت زوجة ابنه.

_ولكن لم يخبرني أحد أن زوجته أيضًا قُتِلت.

_لـم تُقتـل، لقـد وُضِـع لهـا شـيئًا فـي طعامهـا أو شرابها جعلها تذهب في رحلة نوم عميقة.

_ولكـن ألـم تقُـل قبـل قليـل أنـه لا يـدخل إليـه أحـــد بعـــد العشـــاء إلا زوجتُـــهُ، مـــن أيـــن عَلِمَـــت المربيـــة أن زوجتـــه لـــم تُوقِظـــهُ ليتناول دواءهُ حتى تأتي هي.

_غـرفتهم تقـع بجـوار غرفـة ابـنهم والتـي بهـــا زوجـــة الابـــن حاليًـــا، قالـــت أنهـــا لـــم تشـــعر بأحـــدهم اســـتيقظ إذ أنهـــا كانـــت

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ستتسـمع صـوتهم إذا اسـتيقظوا ثـم نـادت علـى المربيـة وأرسـلتها لتـراهُم إن أخـذهم النوم حتى لا يُفوِّت ميعاد دواءه.

تبادلـتُ النظـرات مـع أبـي ثـم توجهـتُ لعمـاد بسؤالٍ آخر:

_ماذا يقول ابنه؟

_لا شـيء، لقـد كـان نائمًـا ثـم أنـه مـن ذلـك النـوع الـذي يُـدمن الخمـور، كـان مسـتيقظًا حتـى الثانيـة عشـر منتصـف الليـل ثـم خلـد للنـوم و لـم يسـتيقظ إلا بأصـوات الهلـع والصراخ بعد أن علِموا بالأمر.

_وزوجة الابن؟

_لـم تقـل شـيئًا هـي الأخـرى نفـس الأقـوال التـي ذكرتهـا لـك أنهـا اسـتيقظت ثـم نـادت المربيـة

لتتفقدهم، زوجة الابن والمربية أقوالهُنَّ واحدة وكل منهُنَّ تؤكد أقوال الأخرى.

_كل واحدة تؤكد أقوال الأخرى نعم ولكن هذا عندما اجتمعن سويًا وفي ذلك الوقت كان العميد قد قُتل، مَن سيؤكد أقوالهُنَّ قبل الثالثة صباحًا؟

_لم أفهم، ما الذي يعنيهِ هذا؟

_دعك، إن كنت ستفهم لِمَ كنت ستُطاردني ثلاث سنوات لتتخطاني؟

نظر إلى أبي وهو يشكوني إليهِ:

_أنظر إلى ابنك، إنه يستهزيءُ بي علنًا!

ضحِكَ أبي وقال مغيرًا دفة الحديث:

_ماذا ستفعلون الآن؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

سؤالٌ أنا نفسي أريد إجابتهُ، ماذا سأفعل الآن؟ الساعة قاربت للتاسعة صباحًا، قلتُ لأبي:

_سنذهب لتناول الإفطار مع أسرة الضحية، عماد سيذهب للمكتب لديهِ عمل يقوم بهِ.

قال عماد مُحتجًا:

_لا عمل لدي، أم انك تحاول إبعادي؟

_لا تُبالغ يا صديقي، هل سأخافُ منك، لماذا سأستبعدك، اذهب المدير ينتظرك، لديك قضية أخرى، يوجد لغزاً عليك حلهُ وإلا شخصًا بريئًا سيفقد حياتهُ.

_حسنًا، سأقوم بعملي وأعود بسرعة.

_أنتَ تثِقُ بنفسك كثيرًا!

_هل ترى يا عمي، انظر إلى ابنك المتعجرف!

_حسنًا اذهب وأبقِنِي على اتصال.

ذهب عماد وتوجهنا للداخل، قلتُ لأبي أثناء عبورنا البوابة الكبيرة الخارجية:

_هيا نعود للساحة يا أبي أشعرُ أنني صدأتُ من كثرة الجلوس بالمكتب دون عمل.

_لا تثق بنفسك كثيرًا يا بني، مكانك هذا يتطلب الكثير من العمل الجاد والاجتهاد للبقاء عليهِ، أنت في القمة الآن وكل الأنظار مُتجهة إليك، لا تجعل الغرور يأخذك فتسقط، كلما ارتفعت أنظر لنفسك وكأنك في القاع رغم ارتفاعك لأجل أن ترتفع مرة أخرى أعلى وأعلى ولكن إذا صدَّقت وصولك وارتفاعك حينها

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ستُبطيء مجاديفك قليلًا فأقل ثم أقل حتى تتوقف وتعتقد أنك وصلت ولكن لا حدود للتميُز، تذكر هذا وإلا ستسقط على وجهك.

عبرنا الحديقة وتوجهنا للداخل، منزل كبير من الطِراز القديم، الطابق السُفلي يضم عددًا من الغُرف على امتداد الجانبين، غرفة للضيوف وثلاثة للخدم وغرفة الطعام وصالة كبيرة تُستخدم للاجتماعات العائلية وصالة للضيوف والزُوار، خارج المنزل في الجانب الشمالي للمدخل يوجد درج خارجي يؤدي للطابق العلوي إلى مكتب الفريق مباشرة وبداخل المكتب يوجد باب آخر يصلهُ بالممر العريض الذي يتصل به

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الدرج الداخلي ويحتضن غرف الدور العلوي جميعها وقد وُزِعت على أن الغرفة الجانبية من الاتجاه الشمالي للمنزل تكون للمكتب والمكان الخاص بأعمال الفريق محمد المصطفى وقد كانت سابقًا غرفة أخيهِ، بجانبه جنوبًا غرفته هو وزوجته السيدة فوزية ثم تليهما غرفة ابنه الأكبر إبراهيم وزوجته تجاورها غرفة الأطفال ثم غرفة الابن الأصغر مصطفى أقصى الجنوب؛ جميع الغرف في الطابق العلوي تفتح على ممر ينحدر من منتصفهِ درج هابط للدور السُفلي وهو ما يقابل مدخل غرفة إبراهيم وزوجته، أثاث المنزل من ذلك النوع الذي يدل على الاستقرار المادي،

طوائل خشبية بتصميم فاخر وعدد من الأرائِك والمقاعد، يبدو أن أحدهم مهتم بفن الرسم، الكثير من اللوحات المحلية والعالمية تُزيِّن الجدران من كل اتجاه مع القليل من الصور العائلية، المنزل يبدو وكأنه معرض فني!

في العاشرة صباحًا كنا جميعًا حول مائدة الإفطار؛ غرفة الطعام تتواجد في الطابق الأسفل، طاولة كبيرة تتوسط الغرفة، القليل من اللوحات معلقة على الحائط بطريقة ملفتِة، تمتلىء المائدة بالأصناف المتعددة وخليط بين الطعام النباتي واللحوم، عصير البرتقال يتوزع أمام الكراسي بصورة عادلة في الأكواب الزجاجية، أواني فضية حملت الطعام

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وثلاث شمعات غير مستخدمة وُضِعت بنظام على طول المائدة، لا أعلم كيف جلست على رأس الطاولة ربما أحد من أصحاب المنزل أشار لي للجلوس هناك، بجانبي والدي ويليه مصطفى، في الطرف الآخر جلست زوجة أخيه ابراهيم الأطفال غير موجودين وزوجة الضحية أيضًا، قالوا أن وضعها الصحي لم يسمح لها بالنزول من غرفتها، ولا أحد من الخدم سوى تلك المرأة عند المدخل تهتم بالطلبات أثناء الأكل، كل هذه الوجوه لا تبدو أنها قاتلة، حسنًا لدينا مصطفى شاب في مرحلة المراهقة المتأخرة يُدمن الكحول والمخدرات ولكن لا يستطيع القتل أو على الأقل هذا ما أراهُ أمامي،

زوجــة الابــن واســمها أســماء قــد ترغــب بــالتخلص مــن والــد زوجهــا لســبب مــا ولكنهــا ليســت بــذلك الغبــاء لتقتلــه وترســل المربيـــــة لتفقُــــدهِ ولا تملــــك الشـــجاعة لارتكــاب جريمـــة، هـــذه الانطباعــات الأوليـــة التـــي تحصــلتُ عليهــا مــن ملامحهــم، هـــذه الوجــوه التـــي أمــامي لا تســتطيع القتــل وقــد يكــون أحــدهم يحــافظ علــى ملامــح وجهــه بـــتحفظٍ حتـــى لا أرى فيهمـــا شـــيئًا يقـــودني إليـــهِ، بـــدأتُ عملـــي بأســـئلة عاديـــة فـــي محاولة لكسر ذلك الصمت:

_هل كان الفقيد يعاني من مرض ما؟

أجابني ابنه:

_كـــان يعـــاني مـــن بعـــض الأمـــراض التـــي تُصـــيب ممـــن هـــم فـــي عمـــره ولكـــن لا أعتقـــد

أنهـــا الســـبب فـــي وفاتـــه، ألـــم تمـــر عليـــك نتيجة الطب الشرعي؟

لم ألتفت لسؤاله ووجهتُ سؤالًا آخر لأسماء:

_هـــل لـــدى زوجـــك علـــم بمـــا جـــرى؟ بالمناسبة متى سافر زوجك؟

أجابتني ونظراتها على الطاولة:

_نعـم لقـد أخبرتـه عبـر الهـاتف فـي وقـت مبكر من اليوم.

رفعت رأسها ونظرت بداخل عيني ثم قالت:

_سـافر قبـل يومـان، مـن المفتـرض أن يـأتِ غـدًا ولكنه عائد اليوم نسبة لما جرى لوالده.

يوجـد شـيء مـا فـي نظراتهـا وكلماتهـا تلـك حتـى مـا قالـه مصـطفى يحمـل شـيء بـين طياتـه، إسـتأذنَّا أنـا ووالـدي ثـم نهضـنا

وخرجنا، سألتُ الخادمة إن كانت السيدة مستيقظة فسأرغب برؤيتها قليلًا.

_نعم سيدي لقد تناولت فطورها في غرفتها قبل قليل.

سيدة في مطلع العقد الخامس، القليل من الشعر الأبيض يخالط خصلها السوداء، ملامحها أقرب لملامح وردة عفى عنها الزمن وتجاوزها الربيع، حاولت النهوض فور أن رأتني، لقد التقينا عدة مرات، الحقيقة أن كل أفراد هذا المنزل التقيت بهم من قبل فقد كان الفقيد يدعوني دائمًا لمنزله لتناول العشاء او مناقشة أمرٍ ما، طلبتُ منها البقاء مستلقية وأن لا تُجهِد نفسها، قمنا بتعزيتها أنا ووالدي ثم قالت:

_مــن الجيــد أنــك هنــا، لا أحــد ســواك يســتطيع مجابهــة هــذه القضــية، الآن أشــعر بتحســن وأعلــم أن قاتــل زوجــي لــن يهــرب من عقابه، أليس كذلك؟ ستجده.

_لا أحــد يمكنــه الهــروب مــن المحاســبة، ســأبذل قصــارى جهــدي فــي ســبيل ذلــك، ســيتطلب الأمــر وقتًــا للوصــول الــى الجــاني واثبــات التهمــة عليــه، لا تقلقــي، ســأفعل كــل مــا بوســعي، الآن إذا ســمحتِ لــي أودُ أن أسألك شيئًا.

قالت وهي تُعدل من وضعية راسها:

_تفضــل، إســأل عــن كــل مــا تريــد معرفتــه، سأفعل ما بوسعي لتوجيهك.

_هو ليس توجيهاً بالصورة الصحيحة

هنـــاك بعـــض الحقـــائق أرغـــب بمعرفتهـــا، مثلًا هل لدى زوجك أعداء؟

_لا لــم ألاحــظ شــيئًا كهــذا، كنــا نــنعم بحيــاة هادئــة وأمــا عــن عملــه فقــد تقاعــد منــذ زمن وأنت أفضل مَن يعلم هذا.

_هل لديه خلافات عائلية، أخوته او أهله؟

_نعــم، محمــود أخيــه الوحيــد كــان يســكن هنــا كمــا تعلــم، أعتقــد أنــك التقيــت بــه ســابقًا عندما كنت تأتي أليس كذلك؟

_نعــم، نعــم، التقيتــه عــدة مــرات ولكــن لا أراه الآن، هل سافر؟

_لا لــم يســافر، لقــد نشــب شــجار بينــه وبــين أخوه محمد ثم طرده من المنزل.

_أعتقد أنها مسألة تتعلق بالمال، صحيح؟

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

_آه لا، ليس ذلك السبب.

_ماذا حدث إذًا؟

_محمود كان سكيرًا يأتي إلى المنزل كل يوم وهو في حالة اللاوعي فيظل يصرخ على كل مَن يراه، كان يصرخ بوجه الخدم وإبراهيم ابني وحتى أخيه محمد.

صمتَت قليلًا كأنها تفكر بأن ليس عليها أن تقول كل هذا، كان عليَّ أن أجعلها تواصل حديثها:

_وأعتقد أن زوجك تضايق من هذه التصرفات فقام بطرده.

_لا، كان يقول إنه أخوه ولا أحد لديه سواهُ ليهتم به ولكن الأمور خرجت عن السيطرة بعد ذلك اليوم.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

قطعَت حديثها مجدداً ثم واصلت:

_ولكن لا أعتقد حقًّا أن ذلك الأمر سيجعله يعود ويقتل أخيه أليس كذلك؟ أعني أنه لم يكن بتلك القسوة، لقد كان مجرد سكيرًا ينامُ ويستيقظ برائحة الخمر ولكن ليس قاتلًا، لقد نصحتُ زوجي بالبحث عنه والتحدث معه مرة أخرى ولكنه رفض.

_المرءُ إذا ما فقد عقله فبإمكانه فعل كل شيء يا سيدتي ولكن أخبريني ما الذي حدث في ذلك اليوم؟

_أتظن أنه عليَّ إخبارك؟ حسنًا كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساءً ومصطفي ابني لم يعُد للمنزل، ما كان يتأخر كثيرًا في الخارج، كان الجميع

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

يـأتون وقـت العشـاء، محمـود يـأتي أحيانًـا وأحيانًـا لا، لـيس لديـه وقـت محـدد ولكـن أبنـائي يعلمـون أن العشـاء سـيكون مـع العائلـة ولا أحـد يجـرؤ علـى تفويتـه، فـي ذلـك اليـوم تـأخر مصـطفى كمـا أخبرتـك، عـاد منتصـف الليـل وهـو ثمـلًا تتـرنح خطواتـه، لـم نكـن نعلـم أنـه يتعـاطى المخـدرات أو يحتسـي الخمـر، كـان معـه عمـه محمـود، اتهـم زوجـي أخـاهُ بأنـه يسـاعد ابنـه علـى الضـياع والانحـراف وأنـه لـولاه لِمـا وجـد مصـطفى طريقـة ليحتسـي الخمـر او يـذهب فـي الطريـق الخطـأ، وبعـد شـجارٍ وصـل حـد الاشـتباك بالأيـدي قـام محمـد بطـرد محمـود مـن المنـزل قـائلًا لـه لـن تعـود مـرة أخـرى ولا

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تجعلني أراك مجددًا، ومنذ ذلك الوقت لم نراهُ.

_وهل كان محمود سببًا في احتساء مصطفى للخمر؟ أعني ألم يكن ابنك يفعل هذا سابقًا؟

_قلتُ لك لم نكن نعلم، لا أعلم متى بدأ يحتسي ذلك السم، لقد عرفنا في ذلك اليوم، وإن كان يحتسيه سابقًا فقد كان حريصًا جدًا لأجل ألا نعلم انا ووالده.

_حسنًا، هل يوجد شيء آخر ترين أنه يجب أن أعرفه أو سيفيدني؟

_لا، لا أظن ولكن إذا تذكرتُ شيئًا سأخبرك.

_الآن إئذني لنا بالخروج، لندعك تنالين قسطًا من الراحة.

_طاب يومك.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

فـي الخـارج وبينمـا كنـا نهـبط علـى الـدرج الـداخلي لمحـتُ الخادمـة فـي المطـبخ فـي الطابق الأسفل عبر إحدى النوافذ.

_هل تسمحين لي بالدخول قليلًا؟

_عذرًا سيدي، تفضل.

_شـكرًا لـكِ، كنـتُ أودُ سـؤالك مـاذا كـان يحتسـي سـيدك بعـد العشـاء، هـل لديـه شيء محدد يشربه دائمًا؟

_نعـم سـيدي كـان يحتسـي عصـير الليمـون بالنعنـاع وهـذا بعـد العشـاء بنصـف سـاعة، أمـا بعـد العشـاء مباشـرة فكـان يحتسـي الشاي ودائمًا يكون هذا في مكتبه.

_المكتـب؟ أيـن يقـع هـذا؟ آه، هـي تلـك الغرفة التي كانت لأخيه أليس كذلك؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_نعم سيدي ولكن بعد أن سافر سيدي محمود أصبحت الغرفة مكتبًا.

_هل سافر؟

_ألم يسافر؟ أنا لا أعلم سيدي لكن كنتُ في إجازة لمدة يومين، لقد مرضت أمي فذهبتُ لرؤيتها وعندما عُدتُ قالت لي الفتاة التي تعمل مُربية بأن السيد محمود سافر.

_أجل، أجل، لقد سافر للخارج، لا أتذكر أين ذهب ولكن أخبريني هل تناول الفريق محمد مشروبه بالأمس؟

_لا سيدي لكنه احتسى الشاي إذ طلب أن أحضره له في الغرفة بعد أن نهض من المائدة.

_ألم تقولي أنه يحتسي الشاي في مكتبه؟

_نعم سيدي ولكن في ذلك اليوم صعد لغرفته مباشرة، قال أنه لم يشعر أنه بخير.

_حسنًا لكنه احتسى عصير الليمون، ألم تُحضريهِ أنتِ له؟

قطبَت جبينها قليلًا وأغمضت عينيها نصف غمضة محاولة التذَّكُر ثم قالت بحسم:

_لا سيدي أتذكر أنني حضَّرتهُ ولكن ليس لهُ، كان ذلك لسيدتي أسماء فهي دائمًا تتناوله قبل أن تنام بقليل ثم تجلس على طاولة بغرفتها تقرأ قليلًا ثم تنام، ولكن لا أتذكر أن سيدي تناول منه في يوم أمس.

_ربما أكون أخطأت، دعك من هذا، لدي سؤال أخير متى سافر إبراهيم؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_سافر قبل يومان سيدي ربما سيعود غدًا لستُ متأكدة.

_شكرًا لكِ سيدتي إذا احتجت شيئًا سأعود مجددًا، وإبراهيم سيعود اليوم، شكرًا لك مرة أخرى!

ارتسمت ابتسامة عريضة على محياها، ذلك النوع من الناس يسعدون بمجرد كلمة صغيرة أن يُشعرهم أحدهم بالتقدير أو أن يناديهم بسيدي أو سيدتي، شيء عادي ويكاد يكون تافهًا ولكنه يرسم في دواخلهم الكثير من البهجة والسرور إذ أنهم يرون أن تلك الكلمة خاصة بمن هم في مكانة عُليا دائمًا وقد تعودوا على نُطقِها لا سماعها، كنا قد خرجنا من المنزل ونتجه للباب الخارجي خلف

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الحديقـــة عنـــدما لمحـــثُ مصـــطفى جالسًـــا علـــى أحـــد المقاعـــد تحـــت شـــجرة جوافـــة كبيرة، سألني والدي:

_هل لاحظت شيئًا عندما كان يتحدث قبل قليل؟

_نعـم لقـد قـال شـيئًا عِلـق بـذهني، لا أعتقـد أنـــه قـــال ذلـــك لمجـــرد القـــول "كـــان يعـــاني مـــن بعـــض الأمـــراض التـــي تُصـــيب مَـــن هـــم فـــي عمـــره ولكـــن لا أعتقـــد أنهـــا الســـبب فـــي وفاته".

_لا يعتقـــد أنهـــا الســـبب فـــي وفاتـــه، هـــل تعتقد أنت ذلك؟

_مـــاذا ســـأعتقد يـــا أبـــي لقـــد كـــان تقريـــر الطبيـــب الشـــرعي فـــي يـــدي صـــباحًا، مـــات الرجل نتيجة لتعاطيهِ كمية من السم

كنتُ أعلم هذا وسألت ذلك السؤال على الفطور لسبب معين وأعتقد أنني حصلتُ على الإجابة المرجوة.

قال والدي وقد التفتَ إليَّ وفي نظراته شيء من الدهشة والاستغراب:

_هل حصلت على شيء؟

_هي أفكار صغيرة تعبث برأسي، سأتمكن من حل هذا اللغز قريبًا.

_لغز؟ كنتُ أعلم أنها قضية صعبة ولكن لم أعتقد أنها بتلك الدرجة من الصعوبة.

_آه، لا عليك، هذا أمر آخر، هل قلتُ لغز؟

_نعم قلت ذلك، كنتُ أعلم أن بك شيئًا ما ولكن لم أستطِع تمييزهُ، هيا أخبرني عن أي لغز تتحدث؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لا تكترث يا أبي ليس بشيءٍ يصعب حله لم أجد له وقتًا فقط لكني سأتفرغ له بعد قليل، الآن دعنا نتحدث مع هذا الشاب قليلًا ولنرَّ ماذا لديه ممكن أن يفيدنا.

_أودُ أن أخبرك أنا سأذهب الآن لدي بعض الزيارات التي سأقوم بها، ستجدني في منزلك مساءً، تقيم في ذات المنزل أليس كذلك؟

_نعم، نعم، ولكن إبقى قليلًا لأوصلك حيثما تريد.

_لا لا، أنت التفت لعملك سأجد طريقةً.

_حسنًا يا أبي.

توجهتُ لمصطفى وشاركته ذلك المقعد الذي يطِّلُ على اللاشيء، فقط سور

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

حديـــدي يقـــوم أمامنـــا ويمتـــدُ لجـــانبين وســـقف طبيعـــي مـــن أغصـــان الجوافـــة فـــوق رؤوســـنا مـــع رائحتهـــا التـــي تســـيطر علـــى المكان.

_مـــؤلم هـــو هـــذا الشـــعور، ألـــيس كـــذلك؟ أعنـــي أن تفقـــد والـــدك، أنـــا لا أعـــرف حقيقـــة هـــذا الإحســـاس فمـــازال والـــدي علـــى قيـــد الحياة ولكنه مؤلم، هذا واضح، صحيح؟

_دعـــك مـــن هـــذه المجـــاملات التافهـــة، هـــل تريـــد حقًـــا أن تعـــرف مَـــن الـــذي قتـــل والـــدي؟ أنـــا أعلـــم، إنهـــا أســـماء هـــي مَـــن وضـــعت لـــهُ شيئًا في مشروبه!

التفتُ إليه وقد تملكتني الدهشة قليلًا:

_هل تعلم ماذا تقول؟

حســـنًا لنفتـــرض أنـــك تعلـــم فـــلا يبـــدو عليـــك أنـــك تقـــول أشـــياء لا تعلمهـــا ولا يبـــدو أنـــك مجنونًا، هل بإمكانك إثبات ذلك؟

نظـــر إلـــيَّ وفـــي عينيـــه الكثيـــر مـــن الغضـــب كـــان واضـــحًا فـــي نظراتـــه، تُخفـــي ملامحـــهُ أكثـــر ممـــا يُظهـــر، يـــنجح بـــالظهور بوجـــهٍ مُـــتحفِظ مـــرة أخـــرى بإســـتثناء ذلـــك الغضـــب في عينيه، قال بصوت حاد:

_إنهـــا تكرهنـــا جميعًـــا، منـــذ أن تزوجهـــا أخـــي وهـــي لـــم ترغـــب بالبقـــاء هنـــا، كانـــت دائمًـــا تطلـــب منـــه أن يشـــتري بيتًـــا آخـــر لترحـــل مـــن هنـــا، فـــي الحقيقـــة كـــان أفضـــل لـــو أنهـــا ذهبـــت؛ لـــم أحبهـــا كثيـــرًا علـــى كـــل حـــال، هـــي مَـــن قتلـــت والـــدي وإن لـــم تفعلـــوا شيئًا فسأقتلها بيداي.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_هل قالت أنها لا تريد البقاء هنا؟

_لم تقل لنا ولكنها تقول لأخي وهو يتحدث معي أحيانًا ويشاركني همومه، إنها تضغط عليه كثيرًا ودائمًا تُريد مالًا.

_الكل يريد مالًا الآن، ولكن ألم تقل أنها قتلت والدك؟ هل رأيتَ شيئًا؟

_قلت لك لم أرَ، ولكنها هي أنا متأكد.

_حسنًا، حسنًا، سأرى ذلك الأمر، الآن أخبرني متى رأيت والدك آخر مرة؟

_بعد العشاء حينما نهض وقال أنه ليس بخير، ذهبتُ بعد ذلك بوقت قليل للإطمئنان عليهِ فوجدتُهُ نائمًا.

_ألم تتحدث معه عن شيء؟

قال غاضبًا: ألم أقل لك وجدتهُ نائمًا؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_آه نعـم، صـحيح قلـت ذلـك، حسـنًا متـى استيقظت اليوم؟

_حينمـا اسـتيقظ الجميـع، عنـدما صـرخت المربية أظن أنها الثالثة صباحًا.

_نعم كان ذلك الوقت، هل تحدثت مع والدتك اليوم؟

_لا، لـم أتحـدث معهـا أبـدًا، فـي ذلـك الوقـت لـم تسـتيقظ تمامًـا، كانـت نصـف نائمـة، أظنهـا مريضـة أو تعـاني مـن شـيء مـا، واليوم كما ترى لم تنزل لتناول الطعام.

_نعـم، علـى مـا يبـدو أنهـا متعبـة جـدًا، إذًا أنت لم تتحدث معها مطلقًا عن الحادثة؟

_لا، لمـاذا تسـأل كثيـرًا وتجبرنـي علـى تكـرار نفـس الأجوبـة، لقـد أخبرتـك قبـل قليـل أنني لـم أتحـدث معهـا أبـدًا، آخـر مـرة

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

تحدثنا فيها كانت وقت العشاء وكان والدي حيًا، هل يكفي هذا؟

_يكفي، يكفي جدّا أنت لا تعلم ماذا قدمَت لي إجابتك هذه، لقد كانت كافية بصورة لا تتوقعها، اسمح لي الآن.

_مهلًا، ماذا تقصد؟

_آه، لا أقصد شيئًا، طاب يومك.

توجهتُ للخارج، تبقى شخص أخير لم أتحدث معه ولكني سأعود إليه فيما بعد، بدأت بعض الأشياء تُظهِر نفسها، أفكاري الصغيرة بدأت تترتب شيئًا فشيئًا تنقُصها حلقتين أو واحدة لتتضِح، الآن عليَّ التأكُد من شيء أخير، لم يكن المطار يبعد كثيرًا عن أحياء بُري، لم

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

يستغرق وصولي أكثر من عشرون دقيقة، توجهتُ من هناك للمكتب لأرى ماذا حدث في أمر ذلك المعتوه، رنَّ هاتفي الذي كان بالسيارة، هي عادة لدي لا أحمله معي عندما أكون أتحرّى عن شيء ما، أتركه دائمًا في السيارة أو المكتب، بعض المكالمات تأتي بوقتٍ لا يمكنني الإجابة فيهِ، وبعض الأشخاص يعيدون الإتصال في ذات اللحظة، لا أعلم ما الذي سيجعلني أرد عليك الآن بينما لم أستطع الرد قبل ثانية واحدة في المكالمة الأولى، أجبتُ على الهاتف وقد كان زميلي عماد:

_أحمد، هل لديك تطور؟

_نعم الكثير من الأشياء دعك منها الآن

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ماذا حدث معكم هل استطعتم التوصل لشيء؟

_نعم، أظن ذلك، وأعتقد أيضًا أن قاتلك المتنكر هذا هو نفسه الذي قتل الفريق محمد المصطفى.

_كيف ذلك؟ من أين أتى هذا الأمر الآن؟

_لا أعلم تحديدًا هو مجرد اعتقاد ربما أراد إلهائك عن إحدى القضيتان بالأخرى بعث لك بهذا الظرف وذهب لقتل شخصية معروفة وهو يعلم أن السلطات ستسلِمُك أمر التحقيق فيها، أعتقد ذلك، وربما يكون شخص لديه سوابق مع الفريق الفقيد وأراد أن يتسلى معك قليلًا وربما لن يقوم بأية جريمة أخرى كما هو مكتوب هنا وقد يكون مجرد شيء لإلهائك أيضًا عن

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

قضية الفريق، ألا ترى ذلك؟ وأيضًا قد يكون

_توقف يا عماد توقف، أنت تشوش عقلي الآن، لدينا أثني عشر ساعة لحل ذلك اللغز وإلا سيموت شخص بريء نتيجة لتحدي أطلقه شخص مجنون، هذا ما أعلمه أنا ولذلك علينا التركيز وأن لا نترك الأمر للحظ، على كل حال، أنا قادم للمكتب الآن، أراك هناك ونتحدث.

_حسنًا أحضر معك بعض البيتزا والمشروبات الغازية.

_ماذا حل برأسي وماذا تطلب أنتَ، حسنًا، هل لديك طلب آخر، سيدي؟

_لا، فقط لا تتأخر يابني.

_حاضر، بابا.

كان عماد هزلي جدًا حتى في أكثر الأوقات التي تتطلب الجدية لا يعفو نفسه من المزاح وإرسال النكات بين حديثه ولكنه مجتهد جدًا، لديه ذكاء في بعض الأحيان، بعض الأحيان نعم أحيانًا أتوجه إليه بشيء استعصى على عقلي فأجد تفسيره عنده كمَن كان ينتظر مجيئي إليه وكأنه يعلم ماهية ذلك الأمر مسبقًا وقد قام بدرسه قبل أن أسأله عنه، ما يكون صعبًا لدي يكون سهلًا للغاية عنده ولكن أحيانًا فلا أحد يفوقني ذكاءً، نعم إنني أرى نفسي الأوفر ذكاءً في المكتب بل في كل الدولة، القليل من الغرور لا يفسد للحقيقة قضية، تفاصيل، تفاصيل،

تفاصيل، كلها روايات، كل رواية تناقض الأخرى ولكن بينهما حقيقة واحدة، الكل يحاول إخفاء شيء بعينه وأثناء قيامه بذلك يكشف حقيقة شيء آخر وهنا متعة الأكاذيب الغير متفق عليها، كل شيء يبدو واضحًا جدًا ولكني لا أستطيع رؤيته، حسنًا دعني من هذا الآن، ماذا سأفعل في ذلك اللغز، أين تلك الرسالة، أين وضعتها؟

_عماد، هل يمكنك المجيء لمكتبي؟ وأحضر معك بهاء الدين، أنتظركم.

طرق خفيف على الباب، لماذا لا يُحظى المرء بالقليل من اللحظات مع نفسه وأفكاره في هذا المكتب؟ أغلقتُ الهاتف.

_أدخل.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

يطـــلُ وجـــه بهـــاء الـــدين ويخبرنـــي أن إحداهن تريد مقابلتي.

_حسنًا أيها السكرتير، دعها تأتي.

هـــو لـــيس ســـكرتيرًا ولكـــن حظـــه وضـــع مكتبـــه بجانـــب مكتبـــي والجميـــع يـــأتون إليـــه، لا أعلـــم هـــل كُتِـــب اســـمي خـــارج مكتبـــه أم هـــو يشـــبهني، وأنـــا أســـتغل ذلـــك فـــي إثـــارة غيظـــه عنـــدما أدعـــوه بالســـكرتير، وجـــه فتـــاة مـــألوف يعبـــر المـــدخل، أتـــذكر أننـــي رأيتهـــا قبـــل وقـــت لـــيس بطويـــل ولكـــن أيـــن؟ هذا ما سأعرفه الآن.

_طاب يومك يا سيدي.

_تفضلي!

_يُستحسن ألا أتأخر حتى لا تلاحظ سيدتي غيابي.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الآن تذكرت هي إحدى الفتاتان اللاتي يعملن في منزل الضحية.

_حسنًا، أسمعك.

_في يوم أمس استيقظت بعد منتصف الليل وخرجتُ من الغرفة، تذكرتُ أدوية السيدة، كانت قد طلبت أن أحضرها لها ونسيتُ ذلك وعندما خرجتُ وجدتُ السيدة تصعد للأعلى وفي يدها الأدوية، هي لم تراني ولذلك عدتُ إلى غرفتي وقبل أن أستطيع النوم مجددًا سمعتُ صوت النافذة في غرفة السيد فُتِحت وأُغلِقت بعد ذلك ولكن ماذا تفعل هي في غرفتهِ.

_طبيعي أن تتواجد هناك فهي غرفتها أيضًا، أليس كذلك؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لا يــا ســيدي هــي غرفتهــا مجــاورة لغرفــة السـيد، ربمــا أننــي لــم أتمكــن مــن تحديـد مكــان الصــوت، ولأن غرفــة الســيد أعلــى غرفتنــا مباشــرة فظننــتُ أن الصــوت أتــى من هناك.

_هل تعاني سيدتك من أمراض؟

_لا يــا ســيدي، ولكــن منــذ أن ســافر ســيدي وهــي تبــدو متعبــة قلــيلًا وقــد خرجــت بعــد الظهر قالت للسيدة أنها ذاهبة للصيدلية.

_فهمــت، أنــتِ تتحــدثين عــن زوجــة إبــراهيم، ماذا كان اسمها؟ أسماء، أجل أسماء.

فــي هــذه الأثنــاء طــرق عمــاد البــاب ودخــل بجانبه بهاء الدين.

_نحن سنأتي لاحقًا يا أحمد.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لا لا، تعالوا، اجلسوا.

جلـــس عمـــاد بالكرســـي المقابـــل للفتـــاة وجلـــس بهـــاء الـــدين فـــي الأريكـــة التـــي أمـــام المقاعد وأمامي مباشرة.

_هـــذهِ الفتـــاة التـــي تعمـــل بمنـــزل الفريـــق محمد المصطفى، عذرًا ماذا كان اسمك؟

_ ريان.

_نعـــم ريـــان، أريـــدك أن تخبرينـــي شـــيئًا، هـــل تعلمـــين مـــاذا حـــدث وجعـــل محمـــود يترك المنزل؟

_لقد سافر يا سيدي، لم يترك المنزل.

_أحـــدهم طلـــب مـــنكم أن تقولـــوا أنـــه ســـافر، أليس كذلك؟

بدأت تُشابك أيديها بطريقة تنم عن التوتر

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

تُقلِّب نظرها في الفراغ.

_أنظري ما تقولينه مهم جدًا بالنسبة لي لقد حدثت جريمة قتل في ذلك المنزل، والجميع متهمًا حتى أنتِ لذلك عليك أن تخبريني بما تعرفينه.

_أعلمُ اننا متهمون ولذلك أتيتُ هنا لأخبرك بما حدث ليلًا، على الأقل قفص الشهود خير من قفص الاتهام.

_واضح أنكِ لستِ بذلك الغباء حتى لا تخبريني عما حدث قبل أن يترك محمود المنزل، انظري أنا أعلم أنه لم يسافر، لقد طُرِد من المنزل أليس كذلك؟

_نعم سيدي، كان قد حدث شجار بينه وبين السيد وقد طرده من المنزل.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_أعلم هذا، ماذا كان سبب الشجار، هل لأنه كان يساعد مصطفى على الخروج ليلًا واحتساء الخمر؟

_لا سيدي هذا ليس السبب، كان هذا قبل ستة شهور ولم يطرده سيدي آنذاك بل منعه من التأخر ليلًا وألا يصطحب مصطفى معه لأي مكان.

_ومتى طرده من المنزل ولماذا؟

_كان هذا الاسبوع الماضي، أنا لا أعلم حقًا لماذا ولكن حدث شجارًا بينهم وقد سمعتُ السيد يصرخ على السيدة وأعتقد أنه قام بضربها لستُ متأكدة، في الصباح قالت لنا السيدة أن السيد محمود قد سافر.

_حسنًا فهمت، شكرًا لكِ، أنتِ لا تعلمين كم أن مجيئك هذا قد فادني، أقدر لك هذا، متى ستُقام الجنازة؟

_الآن يا سيدي، تركتهم قد خرجوا للمقابر وأتيت حتى لا يلاحظوا غيابي.

_ربما يجب عليك العودة الآن،

إن طلبتُ منك شيئًا هل ستفعلينه؟

_نعم سيدي كل ما تريد، يكفي أن لا أكون موضع إتهام لأنني لن أجد عملًا في مكان آخر، مَن سيمنح عملًا لشخص متهم بجريمة قتل.

_لا تقلقي بمجيئك هذا أبعدتِ نفسك عن كل الشُبهات، سآتي للمنزل عصرًا وسأخبرك.

_شكرًا لك يا سيدي.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

هؤلاء الفتيات يصيبهن الذُعر في حال فكرت إحداهن في إمكانية توقفها عن العمل وهذا ما كان لصالحي بهذا الأمر.

_ألن تذهب للجنازة يا أحمد؟

_سأذهب بعد قليل، لقد كان الرجل أستاذي، كيف لا أذهب؟

_حسنًا، ماذا كانت تقول هذهِ ومَن محمود هذا؟

_دعك من محمود يا عماد وأخبرني مَن في المنزل يعلمون أنها جريمة قتل؟

_جميعهم عدا السيدة الكبيرة فقد كانت متعبة ولم نقابلها آنذاك.

_حسنًا الآن دعونا نركز على ذلك اللغز، الوقت يمضي، يا له من يوم طويل وممل.

بهاء الدين: أعتقد أن ذلك الرجل

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

سيرتكب جريمته في أحد الفنادق لأنه قال في لغزه: انا وانت يا حبيبي، او ربما أحد المنتزهات.

قال عماد: أظنها حفلة.

_دعونا نتمهل قليلًا ونفكر بعمق، ماذا كُتب على تلك الورقة؟

_أنا وأنتَ والقمر قريبان حتى نكاد نسمع صوت أنفاسنا، بعيدان نحتاج رحلة عام لنلتقي، الشمس ساطعة والضياء يغزو المكان لا تسمح لها بالمغيب يا حبيبي فالظلام قاتل.

طرق خفيف على الباب.

_ادخل.

أطل وجه رجل طويل القامة ملامحه سمراء

هادئـــة، أنيـــق المظهـــر يرتـــدي طقمًـــا أســـودًا مـــع ربطـــة عنـــق بيضـــاء، يبـــدو فـــي الثلاثينيـــات مـــن عمـــرهِ، عـــرَّف نفســـه أنـــه المحـــامي الخـــاص بالســـيد محمـــد المصـــطفى كنـــت قـــد نسـيت أمـــره تمامًـــا فأنـــا مَـــن طلبـــتُ منـــه المجـــيء لهنـــا، طلبـــتُ مـــن عمـــاد وبهـــاء الدين أن يتركونا وحدنا قليلًا:

_هل تسمحون لنا يا رفاق، سأنضم إليكم بعد قليل.

قامـــا وتوجهـــا للخـــارج كـــل منهمـــا يحمـــل ورقة مكتوبًا عليها ذلك اللغز اللعين.

_تفضـــل يـــا أســـتاذ، شـــكرًا علـــى مجيئـــك، مـــا رأيك ببعض القهوة؟

_أفضِّـــل الشـــاي عوضًـــا عـــن القهـــوة، لقـــد قلـــت عبـــر الهـــاتف أن الأمـــر عاجـــل لـــذلك

أتيت على الفور، أظنه متعلقًا بوفاة الاستاذ محمد المصطفى.

_نعم هو كذلك، هناك بعض الأشياء التي يتوجب علينا معرفتها، الآن دعني أجري هذه المكالمة وأعود لك.

وضعتُ السماعة بعد أن طلبتُ لنا كأسان من الشاي بالنعناع ثم قلت لضيفي:

_أستغرب كثيرًا من اولئك الذين لا يفضلون القهوة، بربكم هل تُحتَمل الحياة بدونها؟ الناس تختلف طبعًا أعلم ذلك ولكن القهوة لم تفشل أبدًا في ترتيب الأذهان وتصفيتها، أنصحك بمنحها الفرصة، أنا لا أتصور يومي بدون أن أبدأهُ بكوب قهوة دافيء.

_لا سيدي إنني أحتسيها لكن يكون ذلك بعد العشاء، أما أثناء النهار فلا التفِت إليها أبدًا، أتدبر أموري بالشاي فقط.

_كما قلت لك الناس تختلف عاداتهم وما يفعلونه خلال اليوم يختلف أيضًا، ودعنا من سيدي تلك، أنا أحمد يكفي هذا.

_حسنًا، وأنا مختار، تشرفت بمعرفتك سيدي.

_مرة ثانية سيدي؟ يبدو أنك تجد صعوبة في الاعتياد على الأشياء ولكن لا يهم أخبرني عن السيد محمد المصطفى هل قام بتغيير وصيته في الفترة الأخيرة؟

_نعم حدث ذلك قبل شهرين من الآن، كان قد استدعاني لمنزله وقام بصياغة

وصية تنص على أن كل ممتلكاته تعود لابنه الأكبر إبراهيم.

_ألم يترك شيئًا لابنه الآخر مصطفى أو لزوجته وأحفاده؟

_لا، كنتُ قد وجهتُ إليه ذات السؤال وكان رده أن ابراهيم لن يحرم أخاهُ من شيء ثم إنه وصَّاهُ بأن يمنحه حقه كاملًا ولكن بعد أن يستقيم قليلًا، قال إن مصطفى الآن يبدد كل أمواله في الفتيات والخمر لذلك استبعده من وصيته وجعل أخاه الأكبر وصيًا عليه.

_حسنًا، وزوجته؟

_لم يقُل شيئًا عنها ولم أسألْهُ.

_أليس غريبًا بعض الشيء؟

_هو غريب فعلًا ولكن المرء لا يعلم ما يحدث خلف تلك الأبواب ولا يعلم كيف هي حقيقة تلك الوجوه التي يقابلها مبتسمة، لا أريد أن أبدو وكأنني أتحدث من وراءهم ولكن العلاقة بينه وبين زوجته تبدو متوترة قليلًا.

_هل كانوا هكذا دائمًا أعني هل لاحظت شيئًا من قبل؟

_كان السيد محمد المصطفى يُغير وصيته بعد كل موقف، هو يستخدمها كتمييز لأهل بيتهِ فمن كان جيدًا كان يحظى بأمواله، هل تفهمني؟ أعني قبل ستة أشهر كانت وصيته تمنح كل ما يملكه لزوجته وابنيه بالتساوي عدا مبلغ محدد خصصه لأخاهُ محمود ثم عاد بعد

ذلك بوقتٍ قصير وقام بتغيير وصيته لتكون كل أملاكه وأمواله لأبناؤه فقط ثم كما قلت لك قبل شهرٍ قام بكتابة وصية جديدة لصالح ابنه الأكبر إبراهيم.

_أفهم أن السيد كثير التردد فيما يخص الوصايا والمال، إذًا الآن إبراهيم هو مَن تُوِّج باللقب أليس كذلك؟

_هذا ما يظنه الجميع، لأن آخر وصية يعلمونها هي تلك التي كانت لصالح إبراهيم.

_وما الذي تعلمه أنت، هل قام بكتابة وصية جديدة؟

أتى فتىً صغيراً في الثالثة عشر من عمره حاملاً كوبان من الشاي:

_أخبر والدتك أن الشاي تأخر بعض الوقت

كـاد ضـيفنا أن يـذهب، خـذ هـذهِ اشـتري بهـا بعـض الأشـياء لإخوتـك، هـل تسـتمر بمراجعـة دروسـك؟ أخبرتنـي والـدتك بعـض الأشـياء وسـيكون لـديك حسـاب معي إن لم تعتنِ بدروسك مجددًا.

_لا يـا سيدي إننـي أقـرأ جيـدًا ولكـن المـدير قـال إن لم أدفعِ متأخراتي فلن أجلس للإمتحان.

_ستجلس، ستجلس، لا تتخلى عن دراستك.

_حسنًا سيدي.

_أرجـو المعـذرة يـا أسـتاذ مختـار، أيـن كنـا؟ آه نعم، كنت تخبرني عن وجود وصية أخرى.

تنـاول كوبـه وارتشـف منـه ثـم وضـعه، فـتح حقيبته وأخرج ظرفًا منها ومدهُ لي:

_عندما علمتُ أن الأمر يخص السيد الفريق

أحضـــرتها معـــي فلابـــد أنكـــم تريـــدون معرفـــة مَـــن الـــذي اســـتفاد مـــن موتـــه فـــي ســـبيل بحثكم حول مقتله والدافع لذلك.

_يبدو أنك مُلِم بعالم الجريمة والتحري.

تناولـــتُ الظـــرف منـــه وفتحتُـــهُ، آخـــر ظـــرف اســـتلمته كـــان كابوسًـــا حقيقيًـــا بالنســـبة لـــي ومـــازال، أرجـــو أن يكـــون الأمـــر مختلـــف هنـــا، قـــال بينمـــا كنـــتُ أطـــالع الورقـــة بداخلهِ:

_فـــي الســـابق كنـــت أقـــرأ كثيـــرًا عـــن الجريمـــة فـــي أوقـــات الفـــراغ، تعلـــم أن الـــزمن لا يمضـــي عنـــدما تكـــون متفرغًـــا لـــذلك كنـــت أقـــرأ فـــالقراءة خيـــر وســـيلة لتبديـــد الوقـــت وتوســـيع إطـــار المعرفـــة لـــدى

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

المـــرء، وهكـــذا قـــرأتُ كثيـــرًا عـــن الجريمـــة حول العالم

حتـــى وجـــدتُ نفســـي أمتلـــك مكتبـــة مـــن الكُتُب والروايات البوليسية.

_القـراءة مفيـدة جـدًا نعـم، أحيانًـا تكـون لقاحًـا للعقـل البشـري، اشـتقت لوقـتٍ كنـتُ أقـرأ فيـه ولكـــن الجريمـــة فـــي الروايـــات تختلـــف عـــن الجريمة في الواقع، ألا تتفق معي؟

_بـــالطبع هنـــاك اخـــتلاف ولكـــن مـــا يفعلـــه بعـــض كُتـــاب الجريمـــة بـــين الصـــفحات، يظـــن المـــرء لوهلـــة أن كـــل هـــذا حقيقـــي، لا سيما أجاثا كريستي وأريادني أوليفر.

_أوليفـــر واحـــدة مـــن شخصـــياتها الخياليـــة مثـــل هيركيـــول بـــوارو ذلـــك المحقـــق

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الأجنبي الضئيل، أما كريستي نفسها فهي ملكة الجريمة، لم تحصل على ذلك اللقب عبثًا، من الطبيعي أن يأخذ السيناريو الذي تضعهُ، ربما بعد تقاعدي سأكتب لكم كتابًا مماثلًا بعنوان "مذكرات متحري متقاعد".

_ستنجح بالتأكيد، لا يوجد في السودان مَن يقوم بكتابة روايات بوليسية على حد علمي طبعًا، أما أجاثا فهي بالطبع إحدى.

انتفضتُ من مقعدي وأنا أقرأ بنود تلك الوصية:

_مهلًا، ما هذا؟ هل صحيح أنه وضع كل أمواله لابنه مصطفى؟

_غريب أليس كذلك؟ كان يقول أنه سيخسر كل شيء في الفتيات والخمر.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_هـذا مـا أثـار دهشـتي، مـاذا حـدث فـي تلـك الفتـرة ليُغيِّـر رأيـه مـن إبـراهيم لمصـطفى؟ متى كتب هذه الوصية؟

_قبل ثلاث أيام.

_قبـل موتـه بيـومين، هـل كـان يعلـم أنـه سـيموت؟ مهـلاً تبًـا لـي، إئـذن لـي يـا أسـتاذ مختـار، علـي أن أذهـب حـالًا وإلا سـتقع جريمـة ثانية في ذلك المنزل، نتحدث لاحقًا.

قُـدتُ السـيارة بسـرعة توقـف العـداد عـن احتسابها، اتصلت بعماد:

_أيـن انـت، دع كـل شـيء مـن يـدك والحـق بي إلى منزل الفريق محمد المصطفى.

_انـا فـي طريقـي لإيقـاف جريمـة اللغـز ذلك، قمتُ بحله أخيرًا، هو يقصد

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_حسنًا، حسنًا، هل بهاء الدين معك؟

_لا، بقيَ بالمكتب فقد طلب منه العميد بعض الأشياء، ماذا بك؟

أغلقتُ الخط دون أن أجيبهُ واتصلت بالعميد، بادرني قائلًا:

_هل تُصدق أنني كنتُ أنوي الإتصال بك الآن؟ لدي شيء لك، عليك أن تجتهد أكثر لحل هذه القضية فلديك قضية أخرى، اتصلوا من القسم وقالوا أن سيدة قُتِلت بمنزلها.

_أجتهد أكثر من هذا؟ لقد حللتُ قضية في أقل من نصف يوم، لو انتبهت قليلًا للحقائق التي كانت بيدي ربما تمكنتُ من إزالة غموضها قبل دفن القتيل وهذا

شـــيء أعتقـــد أن أجاثـــا كريســـتي فـــي الخيـــال لـــم تفعلـــه، دعنـــي مـــن الســـيدة الآن يـــا ســـيدي، أريـــد بهـــاء الـــدين أو أي شـــخص ليلحق بي مع فريقي الى منزل الفريق.

_هـــل نجحـــت بـــذلك حقًـــا؟ حســـنًا، الآن وقـــد تفرغت يمكنك تولي هذه القضية.

_سأعاود الاتصال بك يا سيدي.

هـــل هـــذا موســـم الجريمـــة أم مـــاذا؟ انتظـــروا ليمـــوت ابـــن الفريـــق هـــذا لتكتمـــل الصـــورة، ثـــلاث جـــرائم فـــي أثنـــي عشـــر ســـاعة ثـــم يقـــوم ذلـــك المعتـــوه صـــاحب اللغـــز بارتكـــاب جريمتـــه ليصـــبح لـــدينا أربعـــة جـــرائم فـــي يـــوم واحـــد، هـــل ســـأتقطع أنـــا؟ ثـــم أننـــي تـــأخرتُ فيمـــا يخـــص هـــذه القضـــية أعتـــرف بـــذلك فقـــد كانـــت واضـــحة جـــدًا، يـــا لغبـــائي؛

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

لقد كان كل شيء واضحاً أمام عيني، كلمات مصطفى صباحًا ووالدته وسفر إبراهيم، مجيء تلك الخادمة إلى مكتبي وما قالتهُ، كل شيء كان واضحًا نعم ولكنني تأخرتُ في تمييزه، لولا هذه الوصية لكان الابن سيلحقُ بوالدهِ أيضًا، عبرتُ الحديقة في هدوء وسحبتُ نفسي للأعلى مستغلًا الدرج الخارجي، هدوء مريب في المنزل، الطابق الأعلى يبدو خاليًا، هممتُ بالنزول للطابق الأسفل وما لبِثتُ أن سمعتُ صوت زجاج يتحطم بالغرفة التي خلفي مباشرة، غرفة ابراهيم وزوجته، فتحتُ الباب ودخلتُ:

_ابراهيم، كيف حالك، متى عدت من السفر؟

_أنت ماذا تفعل هنا؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_أعتذرُ جدًا، لا أريد أن يُحدِث وجودي هنا تغييرًا في خططك.

_ماذا تقصد، أي خطط؟

_لا عليك، على كل حال يجب علي مقابلة زوجتك، سأعودُ إليك فيما بعد.

أغلقتُ الباب خلفي نزلتُ للأسفل لعلهُ ظن أنني لم أرى تلك الزجاجة الصغيرة في يدهُ، الكل يخوض لعبة ما هنا ولسوء حظهم أنني أعلم كل شيء.

_آه أسماء، كنتُ أبحث عنكِ أيتها السيدة الصغيرة.

_عساهُ خيرًا، ماذا تريد؟

_ما بكم أنتم؟ لا تقلقي، فقد أتيت من أجل زوجك ولكني أريد أن أسألك سؤالاً

أيـــن تتـــوون الـــذهاب بعـــد تقســـيم الورِثـــة، هل إسبانيا؟

تبـــدلت تقاســـيم وجههـــا وغـــزاهُ الشـــحوب، أشاحت بنظرها بعيدًا وسرعان ما قالت:

_عـــن أي شـــيء تتحـــدث، نحـــن هنـــا، لا ننوي الذهاب لمكان آخر.

_حســـنًا أبلغـــي زوجـــك أننـــي أريـــده فـــي الأسفل بل اريدكم جميعًا.

ذهبـــتُ وتركتهـــا منتصـــف الـــدرج لا تعلـــم هـــل تصـــعد أم تنـــزل، بقيَـــت واقفـــة هنـــاك حتـــى دخلـــتُ المطـــبخ وتحـــدثتُ للخادمـــة ريـــان قلـــيلًا ثـــم خرجـــتُ وتوجهـــتُ لغرفـــة الجلـــوس حيـــث كـــان مصـــطفى مـــع والدتـــه يحتسيان القهوة.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_هل لي بكوب قهوة، آنستي.

_أوه، تفضل يا بني، ستأتي القهوة حالًا.

نهضَت من مقعدها وسحبت كرسيًا لي ثم خرجت تنادي للخادمة، عادت بعد حين وفي يدها إبريق قهوة ذهبي أعجبني كثيرًا، في الواقع لدي مثله في المنزل، كان الفريق الفقيد قد أهداني إياه قبل سنةٍ عندما ألبسني تلك الميدالية ونزلنا من المسرح، أخذني جانبًا وأهداني مثل هذا الابريق وهو يخبرني أنه أحضرهم من المغرب في زيارته الأخيرة، كان لُطفاً شديداً منهُ.

_كيف حالك يا بني؟

_بأفضل حال سيدتي، أرى أنكِ استعدتِ عافيتك.

_نوعًا ما، أحاول أن أتماسك.

_نعـــم، نعـــم هـــي أوقـــات صـــعبة بالتأكيـــد ولكـــن ســـيدتي الأصـــعب مـــازال مُقـــبلًا، نحـــن سنبدأ الآن.

_مـــاذا تقصـــد، هـــل عثـــرت علـــى شـــيء، مَـــن الذي قتل زوجي؟

_وجدتُـــهُ نعـــم، الحقيقـــة هـــو لـــيس شخصًـــا غريبًا، هو من أهل هذا المنزل.

قـــال مصـــطفى وقـــد وضـــع كوبـــه مـــن يـــده وظلـــت عينـــاهُ علـــى عينـــاي، نظـــراتُ دهشـــة مصممة خالية من التوتر والاضطراب:

_كنـــتُ أعلـــم هـــذا فلـــيس لأبـــي عـــداوة مـــع أحـــد مـــن الخـــارج، هـــل هـــو نفـــس الشـــخص الذي أخبرتك عنه؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_هو وليس هو.

زادت معـــالم الدهشـــة لديـــه واتســـعت عينـــاهُ، سألني وتبدو الحيرة واضحة في صوته:

_ماذا تقصد، كيف هو وليس هو؟

قالت والدته بإنفعال:

_لماذا تراوغ يابني، أخبرنا ما الذي حدث بالضبط.

_أنـــتِ ذكيـــة جـــدًا يـــا ســـيدتي ولكـــن لـــيس لتلـــك المرحلـــة، ابنـــك الآخـــر ســـيأتي وبعـــدها ســـنتحدث جميعًـــا، لقـــد تـــأخروا كثيـــرًا رغـــم أننـــي دعـــوتهم، هـــل يمكنـــك منـــاداتهم يـــا مصطفى؟

نهـــض مصـــطفى وتوجـــه للأعلـــى، فـــي هـــذه الأثناء سألتُ والدتهِ:

_مَن المستفيد مِن وفاة زوجك، آنستي؟

_إبــراهيم أعتقــد هــذا، فقــد كانــت آخـر وصاياهُ تمنح إبراهيم كل شيء.

_ألــم تكــن وصــيته لصــالحكم الثلاثــة بالتساوي أقصد انتِ وابنَيكِ

ثم مبلغًا بعينهِ لأخيه محمود.

فتحــت ثغرهــا علــى اتســاعه ولكــن لــم تجـد مــا تقولــهُ، ظلــت تُتَمــتِم وتُغمغِــم بكلمــات غير مفهومة:

_نعــم كانــت هكــذا، أعنــي فــي الســابق ولكــن مؤخرًا قام بتغييرها.

_مؤخرًا هذه لعلك تعنين بها قبل شهرين؟

_ربمــا قــد تكــون كــذلك، أنــا لا أهــتمُ كثيــرًا بهذه الأشياء.

_نعم لا تهتمين، أعلم هذا.

أتى مصطفى يتقدم أخيه وزوجته، كانت غرفة الجلوس تضجُ بالأرائِك الفخمة الطراز، أربع أريكات كل منهما بجانب وتتوسطهما طاولة زجاجية حولها مقاعد من خشب بتنجيد فاخر، جلس ابراهيم وزوجته على إحدى الأرائك قائلا:

_لم نستطِع أن نُضيفك شيئًا أعذرنا، قد وصيتُ لنا بعصير برتقال، ما رأيك بالبرتقال؟

_لا تروقني كثيرًا أعشق الأرجنتين أكثر كما أستمتِعُ بمشاهدة ليونيل ميسي، ألم تكن في الأرجنتين قبل يومان؟ لقد حزنتُ كثيرًا فقد علِمتُ أنك عُدتَ في ذات اليوم، كان بإمكانك الاستمتاع قليلًا هناك، لماذا عُدت؟ حسنًا، أعلم أنه لا

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وقــت للمــزاح الآن فــأنتم فــي حِـداد علــى والـدكم ولكـن مـا لـدينا هنـا أهـم كثيـرًا مـن عصـير البرتقـال يـا صـديقي ثـم أننـي لا أحتسـي أي شـيء يُقـدمُ لـي، فالمشـروبات هـذه الأيـام أصـبحت تخـتلطُ بأشـياء تقتـل المرء، أليس كذلك سيدة أسماء؟

تبادلَت النظرات مع زوجها ثم قالت:

_مـا هـذا الهـراء الـذي تتفـوه بـهِ، منـذ مجيئك وأنت تتفوه بأشياء لا أفهمها.

_معـك حـق سـيدتي ربمـا آن الأوان لنـدخل إلـى صـلب الموضـوع، حسـنًا الآن دعونـا نعـود بـذاكرتنا ليـوم أمـس؛ نهـض السـيد مـن المائـدة وتوجـه لغرفتـهِ بـدلًا عـن المكتـب وعلـل ذلـك إذ قـال أنـه لا يشـعر نفسـه بخيـر، حسـنًا، مَـن الـذي رآهُ بعـد

ذلك؟ لا أحد سوى زوجته أقصِدُك أنتِ سيدتي.

رفعت عيناها ونظرت إلي بريبة ورهبة وقالت:

_من الطبيعي أن يحدث هذا فتلك غرفتي أيضًا.

_حسنًا لم نقل شيئًا هي غرفتك ولكن سيدتي ألم تُلاحظي أحدًا يدخل او يخرج من غرفتك؟

_لا كان الباب موصدًا ثم أنني لم ألبث قليلًا وذهبتُ في نوم عميق لم أستيقظ الا بعد تلك الضجة عندما أيقظتني أسماء.

_اه نعم، ذلك لأنه وُضِع لكِ القليل من الدواء المخدِر وليس بالضرورة أن يأتي بالباب، النافذة قد تكون مدخلًا أحيانًا.

_مخدر؟ مَن فعل هذا؟

_كنتُ أعتقد أنك تعلمين الفاعل يا سيدتي، لا؟ حسنًا، حسنًا دعك الآن، في وقتٍ متأخر من الليل استيقظتِ أنتِ أيتها السيدة الصغيرة إنني أتحدث معك، هل يمكنك أن تخبريني ما الذي حملك للاستيقاظ منتصف الليل ثم الخروج للحديقة لا تقولين أنكِ أردت التنزُه قليلًا.

_أنا، لم، لقد استيقظتُ نعم، ولكن كان ذلك في الثالثة صباحًا عندما أرسلتُ المربية لتفقُدِ والد زوجي حتى لا يفوت مواعيد دواءه.

_اه كان ذلك فيما بعد آنِستي لكن أحدهم رآك منتصف الليل تخرجين إلى حديقة ثم عُدتِ وحملت أدويتك من الطاولة في الخارج وصعدتِ أليس كذلك؟

الحقيقة أن أحدًا لم يَرَاها تخرج للحديقة فقد رأتها الخادمة تصعد لأعلى فقط، كان ذلك مجرد استنتاج مني أرجو أن يكون صحيحًا، أصبح وجهها شاحبًا ترتجفُ يداها وتتشابك أصابعها بصورة لا إرادية، قالت في تردد واضح:

_نعم، نعم، أعتقد أنني فعلتُ ذلك، قد تذكرتُ أنني لم أحمل أدويتي معي، فنزلتُ لأخذها وبعد ذلك خرجتُ للخارج قليلًا، نعم تذكرتُ الآن، صحيح.

_لماذا خرجتِ للحديقة؟ أعتقد أنه لم يكن وقت تنزُهٍ وترفيه عن الروح.

_بلى كنتُ قلقة قليلًا ولم أستطِع النوم فحملتُ روحي للخارج، لماذا تسأل كل هذه الأسئلة، هل أصبح حرام علينا أن

نتجـول فـي منزلنـا؟ لمـاذا أنـت صـامت يـا إبراهيم، ألا ترى كيف يحدثني؟

_ربما كان إبراهيم متواجد في ذلك اليوم

لـذلك يلتـزم الصـمت الآن، ألـم تلتقيـهِ فـي الحديقـة وطمئنـك وجـوده حينمـا كنـتِ قلقـة فهـو زوجـك قبـل كـل شـيء، لابـد أنـكِ سـعدتِ بعودتـه، هـل رأيـت ابنـك ليلـة أمـس يا سيدتي؟

التفتَـت الأم ناحيـة إبـراهيم متسـائلة، اسـتغربت زوجتـه وفتحـت فمهـا عريضًـا، كـان مصـطفى الوحيـد الـذي يحـافظ علـى ابتسـامته منـذ بـدأتُ حـديثي، بـدا وكأنـه يسـتمتع بـذلك، قفـز إبـراهيم فـي محاولـة ليثبت عبرها أنه متأثرًا من كلامي:

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_مــاذا تقـول أنـــت؟ لقـد كنـتُ فـي رحلـة سـفر ولم أعُد إلا قبل قليل.

_حســـنًا ولكـــن عليـــك أن تخبرنـــي بشـــيء، مَـــن ذلـــك الشـــخص الـــذي كـــان فـــي الكـــوخ خلـــف المنـــزل، توجـــد هنـــاك زجاجـــات مـــاء حديثـــة والقليـــل مـــن الويســـكي والنبيـــذ الأحمـــر وبعـــض لفـــائف الســـجائر الأخضـــر، كمـــا توجـــد رائحـــة الصـــندل والبخـــور تمـــلأ المكان عبقًا، ألم تكن أنت هناك؟

_كذِب، أنتَ تكذب، هو يكذب يا عزيزتي تعلمين.

_حســـنًا، هـــل أســـتدعي تلـــك الفتـــاة التـــي كانـــت معـــك؟ ربمـــا لا يروقـــك الأمـــر فزوجتـــك هنا، أليس كذلك؟

نهضت زوجته صارخة وقد رمته بإحدى الوسائد:

_ماذا يقول هذا ومَن تلك الفتاة؟ لم أتحمل وجودنا في هذا المنزل وهراء والدك ووالدتك، كان عليك البقاء هناك في صمت حتى لا يلاحظ أحد وجودك ويسير كل شيء كما خططنا له، كيف تفكر بتلك الطريقة؟

ضحكة مكتومة خرجت من مصطفى وهو يردد خلفها بصوتٍ طفولي:

_في منزلي، لم يعد منزلك، تصرف مع هؤلاء يا أحمد وإلا سأرتكب مجزرة هنا.

صاحت أسماء:

_هو فعل كل شيء، أنا لم أفعل شيئًا لم يكن لدي ذنب.

أجبتها مطمئنًا:

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_أعلم أنك لم تفعلي شيئًا ولا زوجك، دعونا نتجه لهذا الجانب ونطرح سؤالًا على السيدة فوزية.

استدرتُ إلى السيدة واقتربتُ منها

واضعًا يداي على أيدي مقعدها، دنوتُ منها وأنا أسألها:

_لماذا قتلت زوجك يا سيدتي؟

انتفض مصطفى من مقعده صارخًا:

_هل تعلم ما الذي تقوله، هذه أمي، ألم تعترف لك تلك الساقطة قبل قليل؟

_سأشرح كل شيء، اجلس من فضلك.

_هذا هراء، كله هراء، توقف عن فعل هذا واعتقل هؤلاء الجبناء.

_حسنًا سنعتقلهم ولكن يوجد شيء آخر يجب نفض الغبار عنه، هل تسمح لي؟

جلس مصطفى على مضض وبدا وجه والدته منطفئًا مليئًا بسحابات من الهموم والرعب.

_سيدتي لم تجيبيني، هل من أجل الحب؟ هو الحب نعم.

عدتُ إلى وسط الغرفة، أخذتُ أروي لهم ما حدث وإن كان كل ما أقوله لا أملك دليلًا واضحًا يثبتهُ ولكن كل أملي يستند على نفوسهم، سيعترفون بأنفسهم:

_يوم أمس نزلت السيدة الصغيرة الى الأسفل لتأخذ أدويتها التي أحضرتها من الصيدلية نهارًا ووضعتها على الطاولة في الخارج، لماذا لم تأخذيها لغرفتك يا

سيدتي الصغيرة؟ دعكِ من الاجابة فلا أحتاجها، قبل أن تأخذ أدويتها خرجت إلى لحديقة لمقابلة زوجها وقد طلب منها النزول بعد أن يخلد الجميع للنوم ورسائلهم النصية تؤكد ذلك.

التفتَ إبراهيم إلى زوجته ورمقها بنظرات حانِقة مؤنبة.

_نعم سيدي لقد فعلَت خطأ كبيرًا، لماذا تحتفظين بمثل هذه الرسائل يا سيدتي الصغيرة؟ هو خطأ لا يُغفر، بعد أن عادت من الحديقة، قد توجه زوجها لنافذة غرفة والده عادت هي للداخل، حملت كيس أدويتها وصعدت ولكن أحدًا رآها وهي على الدرج، دخلت غرفتها وفي ذات الوقت خرج مصطفى من

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

غرفته ليتفقد والده ويطمئن عليهِ، وجده مستغرقًا في النوم، أليس كذلك يا مصطفى؟ أنت مَن أخبرني بهذا.

_صحيح، وجدته ووالدتي في سباتٍ عميق ولم أشأ إيقاظهم فخرجتُ على الفور.

_نعم، نعم، في الجانب الآخر وفي لحظة دخولك للغرفة كان أحدهم يحاول التسلل من النافذة، قام بفتحها وعندما هَمَّ بالدخول أتيت أنتَ فارتعب وأغلقها بسرعة، لحسن الحظ قد سمِعَت إحدى الفتيات في الأسفل صوت النافذة، قالت ربما هي غرفة السيدة الصغيرة ولكن الصوت أتى من الغرفة التي فوقهم مباشرة وهي غرفة والدك، بعد ذلك ظل إبراهيم بجانب النافذة حتى خرج

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

مصطفى واطمئن للوضع وتأكد أن الجميع قد خلدوا للنوم، عاود الكرة مرة أخرى ولكن قبل أن يفتح النافذة رأى والدته مستيقظة وقد أيقظت والده لتناول الدواء، كان الوقت آنذاك في الثانية صباحًا مما يعني أنه لم يحين موعد دواء السيد بعد ولكن شخص استيقظ من النوم لتناول الدواء لن يسأل عن الوقت خاصة وإن كان أحدهم أيقظه قائلًا له أن الوقت قد حان، أليس كذلك سيدتي؟ هو لم يسألك، فقط تناوله على الفور ولم يعلم أن كوب البرتقال ذلك قد خُلِط بمادة سامة، يفقد الكثير من الأشخاص حياتهم بسبب الثقة المفرطة أليس كذلك؟ حسنًا، بعد ذلك قمتِ بوضع المخدر على كوب

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الماء واحتسيتِهِ حتى تبعدين نفسك عن دائرة الاتهام، كانت فكرة ذكية يا سيدتي أعترف لك بذلك ولكن أولئك الذين يظنون أنهم أذكياء جدًا دائمًا ما يتركون أثرًا خلفهم، عندما أتيتُ أنا صباحًا وسألتك العديد من الاسئلة، تحديدًا عندما كنتِ تتحدثين عن أخ زوجك محمود قلتِ لي لا أعتقد أنه سيعود ليقتله؛ ليقتله من أين علمتِ أنهُ مات مقتولًا وأنتِ لم تنزلي من غرفتك ولم تتحدثي إلى أحد؟ عندما جاء تقرير الطب الشرعي وأخبر فريقي أهل بيتك انه مات بسبب مادة سامة، لم تكوني من ضمن الأشخاص الذين قيل لهم هذا ولم يتحدث معك أحد حول هذا الامر فقد سألتهم

وأحدًا تلو الآخر، ألم أسألك يا مصطفى؟ بلى سألتك حينما كنا اسفل أغصان الجوافة تلك ثم بعد ذلك طلبتُ من خادمتك أن تبحث جيدًا في غرفتك، هل تعلمين ماذا وجدنا؟

_تعالي يا ريان.

دخلت ريان غرفة الجلوس مترددة تحمل زجاجة صغيرة، أخذتها منها ووضعتها على مرأى منهم جميعًا وقلت للسيدة:

_ربما نسيتها خلف الدرج الصغير بجانب السرير فقد كانت هناك او ربما لم تنتبهي لسقوطها، بعد ذلك وبعد نومك ووفاة زوجك، جاء ابراهيم ليقوم بعمله أيضًا وقام باستبدال علاج والده بعقاقير تسلبه حقه في الحياة على الفور والذي

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

لم يستخدمه زوجك لأنه كان قد مات فعلًا، وخرج عائدًا لكوخه، قامت زوجة ابنك باستبدال العقاقير فيما بعد كما اتفقا سابقًا، هم يعتقدون أنهم نجحوا بخطتهم وتمكنوا من قتله، ولم يلاحظ أحدٌ منهم أن الأدوية لم تُستخدم أبدًا، ولا يعلمون أن أحدًا آخر فعل ذلك، ثم في الوقت الحقيقي لدواء السيد وهو الثالثة صباحًا أرادت السيدة الصغيرة أن تتأكد من وفاة والد زوجها ولكن لم تُرِد المجيء بنفسها حتى لا تكون موضع تساؤل من قبل الشرطة لأنها تعلم أن مكتشف الجثة يكون موضع الأنظار دائمًا، لذلك قامت بإرسال المربية لتوقظه، كنتِ ذكية يا سيدتي، بعد ذلك تعلمون ما حدث.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

هـــدوء وصـــمت فـــي الغرفـــة، حُبِســت الأنفــاس، لا أحــد يســتطيع النظــر فــي عــين الآخــر عــدا مصــطفى الــذي ثبَّــت نظراتــه علــى والدتــه يتطــاير الشــرر منهمــا، قالــت والدته في صوت مكتوم ويائس:

_لــم يتــرك لــي خيــارًا آخــر، لــم أرغــب بشــيء ســوى حريتــي، هــو كــان يبقينــي كالســجينة هنــا وعنــدما طلبــتُ الطــلاق هــدد بقتلــي قــائلًا أن ســمعته فــوق كــل شــيء، لــم يُــرِد أن يتركنــي لأتــزوج أخــاه، ســمعته كانــت تهمــه أكثــر مــن نفســه، لــم يقــل أنــه يحبنــي ويخشــى فراقــي بــل خشــيَ علــى اســمه بــين النــاس، كــان خيــارًا واحــدًا وفعلته، قتلته نعم.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_الحب قاتل يا سيدتي، هل محمود معك في هذا الأمر؟

_نعم كنا سنسافر سويًا اليوم، أنا لا أريد أمواله، فليذهب هو وأمواله الى الجحيم، كنت أريد حريتي فقط.

_ستلتقين بحريتك في السجن يا سيدتي، ونعم، حبيبك سيكون هناك أيضًا.

ثم ناديتُ على فريقي في الخارج:

_اعتقلوا هؤلاء.

جلستُ مع مصطفى، لا يعلم لأي منهما سيحزن، هل لوفاة والده أم اكتشافه لحقيقة أخيه أم أن والدته قتلت والده؟ بعض الجروح لا يمكن تجاوزها مهما حاول المرء، سيقفز الألم للمقدمة كلما

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

تعرض المرء لجرح آخر وهكذا يكتب الألم لنفسه الاستمرارية، عدتُ الى منزلي ارتميتُ بجسدي على سريري الدافيء، يجب على المرء أخذ قسطًا من الراحة، هذا من حق الجسد علينا، دخل والدي الغرفة وقد بدا عليهِ كمن استيقظ من النوم.

_هل نمت؟

_نعم، لم أحظى بفرصة للاستلقاء منذ البارحة، استغللتُ غيابك وأرحتُ جسدي قليلًا، أخبرني ما الذي حدث، هل وجدتم مَن فعل ذلك؟

_نعم، نعم وجدناهُ.

_هل أخوه؟

_ابنه وزوجته.

_لا أصدق.

_كما أُخبرك وليس هكذا فقط، زوجة الميت وأخوه أيضًا.

_تبًا كل هؤلاء؟ ابنه حاول قتله لأجل المال أليس كذلك؟

_نعم المال سبب دائمًا، ووالدته من أجل الحب.

كان الفقيد دائمًا يحدثني عن العائلة وضرورة الترابط الأسري بينما تحاول كل أسرته التخلص منه عدا ابنه الأصغر كان يشجعني على ما كان يحتاجه هو، وربما هذا يخالف مقولة فاقد الشيء لا يعطيه، فاقد الشيء هو وحده من يستطِع منحه لأنه الوحيد الذي يعلم أي

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

كميـــة مطلوبـــة ومتـــى وكيـــف لـــذلك نجـــد معظـــم مَـــن يقـــدمون النُصـــح مُلِّمـــون بتفاصـــيل مـــا يتحـــدثون عنـــه، الأمـــر أشـــبه بطبيـــب يمـــنح المـــريض الـــدواء، هـــو بالتأكيـــد لا يعـــاني مـــن ذلـــك المـــرض ولكنـــه يعلـــم علاجـــه لأنـــه درســـه، التجـــارب هـــي مَـــن تُمكِـــن فاقـــد الشـــيء مـــن إعطـــاءه، بشـــعوره بـــه وبمـــا يضـــاهيه مـــن عدمـــه، يســـتطيع تقديمـــه كمـــا ينبغـــي، اســـتيقظتُ فـــي حـــوالي العاشـــرة مســـاءً، لا أعلـــم كيـــف اســـتغرقتُ ســـت ســـاعات فـــي النـــوم، لقـــد كـــان يومًـــا ثقـــيلًا جـــدًا، وجـــدتُ أبـــي قـــد حضَّـــر عشـــاء خفيفًـــا، البـــيض بالطمـــاطم والقليـــل مـــن الجُبنِ والخُبز، وكوبَيْ شاي.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لا أنجح بإعداد طبق البيض بالطماطم كما تفعله والدتك ولكنني حاولتُ.

_شكرًا يا أبي.

أثناء العشاء ظل والدي يتحدث عن عدة أشياء، قال في وسطها:

_إذًا اليوم آخر أيام العام؟ ألا يمكنك الحصول على إجازة والعودة معي لرؤية والدتك؟

_الوضع ضاغط كما تعلم يا أبي ولكني سأحاول في مقبل الأيام، لنُغلِق تفاصيل هذا العام وفي أول أسبوع من العام الجديد سأحاول الحصول على إذن.

قال ضاحكًا: يمكنك أن تقول الأسبوع القادم، المسافة تطول عندما تقول هذا

العام والعام المقبل، بين هذا العام وذاك يوم واحد فقط.

خطر شيء ما على بالي، ذلك اللغز، قلت:

_نحتاج رحلة عام لنلتقي، نعم، هو الحل.

اكتست ملامح والدي بعلامات الدهشة والتعجب:

_ماذا تقصد، بمن ستلتقي؟

_لا ليس هكذا، ألم يكن هناك لغزًا حدثتك عنه؟ هذا هو الحل.

_أي لغزٍ وأي حل؟ أنا لا أفهم يا أحمد.

شرحتُ له كل شيء من استيقاظي ليلة البارحة وذلك الظرف والرسالة التي داخله ثم قُلتُ له اللغز: "أنا وأنتَ والقمر قريبان حتى نكاد نسمع صوت أنفاسنا، بعيدان نحتاج رحلة عام لنلتقي،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الشمس ساطعة والضياء يغزو المكان لا تسمح لها بالمغيب يا حبيبي فالظلام قاتل"، حسنًا يا أبي أنظر؛ أنا وأنت والقمر قريبان حتى نكاد نسمع صوت أنفاسنا

أبي مقاطعًا: رقص، حفلة، راس السنة، أضواء وشموع، جريمة.

_ماذا؟

_كل شيء واضح يا ابني ماذا بك؟ دائمًا يبدو كل شيء واضحًا ولكن ما نرغب برؤيته هو الوحيد الذي لا يبدو واضحًا.

_ما الذي تراه يا أبي؟

_ألا توجد حفلات رأس السنة تلك؟

_نعم.

_جريمتـــك ســـتكون بإحـــدى هـــذه الحفـــلات، ركـــز معـــي لقـــد قـــال لـــك: قريبـــان حتـــى نكـــاد نســـمع صـــوت أنفاســـنا، بعيـــدان نحتـــاج رحلـــة عـــام لنلتقـــي، رحلـــة العـــام هـــذهِ ليســـت ســـوى آخـــر خمـــس ثـــوانٍ مـــن آخـــر دقيقـــة من الساعة الحادية عشر مساءً.

_نعـــم، نعـــم، هـــذه الثـــواني التـــي تُطفـــأ فيهـــا الأنوار والشموع.

_بالظبط، الظلام قاتل، هل فهمت؟

_ستقع الجريمة في تلك اللحظات.

_نعـــم، والآن لـــديك مـــا لا يقـــل عـــن مئـــة وعشرون دقيقة.

_تبًا ولكن يوجد العديد من الأماكن التي تقام فيها مثل هذه الحفلات، كيف سنجده في هذا الوقت القصير؟

_ألا يوجد شيء آخر في اللغز يرشدك للمكان الصحيح؟

_لا أعتقد، دعني أرى.

أعدتُ قراءة اللغز العديد من المرات، ليس به شيء؛ تجتاحني العديد من الأحاسيس، الغضب، الضُعف واليأس، أن تعلم أن أحدهم سيُقتَل وسيكون موته بسببك لأنك لم تأتي في الوقت المناسب، أن يكون هناك شخص مجنون يُقحمك في تحدي تافه لإثبات ذاته ولكن على حساب الآخرين وحياتهم، إن وجدته

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

سأخنقه بيداي، سأتصل بالمكتب الآن ونرى فيما بعد ما يمكن فعله.

_حضرة العميد.

_أين أنت، ألم أقل لك توجد قضية أخرى ستعمل عليها؟ هل وصل بك الحد أن تُغلق هاتفك لتتهرب من العمل؟

عجبًا لهذا يقول أنني أتهرب من العمل، الكل يرى الأرض ثابتة لا تهتز ولا تئن ولا تضجر أو تتذمر، يعتقدون أنها تستطيع تحمل كل شيء فوقها ولكن لا أحد يرى حجم الأثقال التي على ظهرها، لا أحد يُقدِّر أو يشكر أو يعذر.

_سـيدي لقـد انتهيـت مـن قضـية للتـو ثـم لـدي قضـية أخـرى أنـت تعلمهـا، لـديكم عمـاد وبهـاء الدين والعديد من الأشخاص.

_لا تُملي علي عملي، مَن تظن نفسك؟

_دعك مني، أنا لن آتي للمكتب، أستقيل.

_هـل تظـن أننـي سـآتي إليـك معتـذرًا مثـل المرة السابقة؟ أنظر أنا لن

أغلقـتُ الخـط ورميـت الهـاتف بعيـدًا، هـذه ليسـت المـرة الأولـى، ظـل هـذا الشـخص يتسـلق ظهـري كـأنني جبـل لا يهتـز، لقـد سـئمتُ حقًّـا مـن كـل هـذا، مثـل هـذا النـوع مـن المُـدراء هـو مـا يُنفِّـر المـرء مـن العمـل، الكثيـر مـن الأشـخاص فـي هـذه الدولـة لا يجـدون التقـدير الملائـم اللائـق

بهـم نظيـر مـا يقدمونـه ونظيـر إخلاصـهم فـي عملهـم، فضـلًا عـن مرتبـاتهم التـي لا تُسـمن ولا تُغنـي عـن جـوع، وربمـا هـذا هـو السـبب فـي بحـث الكثيـر مـن الأشـخاص عـن فرصـة عمـل فـي الخـارج وتركنـا أرضـنا للأجانـب حتـى أصـبحنا كالـذي يُصـلح أبـواب النـاس ويسـتأجر آخـر لإصـلاح بـاب منزلـه، أتـى والـدي ولاحـظ ملامحي الغاضبة، سأل في حيرة:

_ماذا حدث؟

_استقلتُ.

_مرة ثانية؟ هل بسبب مديرك أيضًا؟

_هذا الرجل كارثة لن أعود للعمل تحته مرة أخرى، أخبر مصادرك في الوزارة بهذا.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_وماذا ستفعل في هذا اللغز؟

_لا أعلـــم يـــا أبـــي لا أعلـــم أي شــــيء، سأتصـــل بصـــديقي بهـــاء الـــدين ربمـــا يستطيع عمل شيء.

_حســـنًا وأنـــا هنـــا أيضًـــا، بإمكـــاني تقـــديم المساعدة وفعل ما أستطيعه.

_سنرى.

تناولتُ الهاتف وطلبتُ رقم بهاء الدين.

_يا رجل، كيف حالك؟

_على ما يرام، أتدبر حالي.

_أين أنت؟

_في المنزل.

_أنظر بشأن ذلك اللغز، الجريمة ستقع في إحدى حفلات رأس السنة، أحتاج معرفة المكان الصحيح، هل يمكنك فعل شيء؟

_حسنًا دعني أرى وسأعود إليك بمكالمة أخرى.

_انتظِرُك.

جلستُ منتظرًا وأكثر ما أكرهه في حياتي هو الإنتظار، إنتظار الأمل، إنتظار أحدهم، إنتظار المستحيل، المستحيل هو خرافة ابتدعها شخص كسول لا يولي أشغاله أهمية فدعاها بالمستحيلة، أصحاب العصور القديمة كانوا يرون أن إمكانية التحدث مع شخص في أوروبا بينما هم في إفريقيا دون التحرك من مكانهم واستغراق بضعة أيام، يرون هذا ضربًا من المستحيل، الأمر لا يستغرق

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بضع ثوانٍ الآن لا يوجد ما هو مستحيل، هيا إلى العمل فالجلوس لا يفيد، نستطيع فعل شيء أثناء الإنتظار.

_أبي، سنخرج، أنتظرك في السيارة.

_قادم.

توجهنا أنا ووالدي لأحياء الرياض والطائف لنرى ونتفقد أكثر الأماكن التي يمكنها استضافة جريمة قتل، في تلك المناطق من العاصمة يهتمون كثيرًا بإحياء حفلات كهذه ولكن الأمر أصعب من البحث عن إبرة في كومة قَش، لا دليل ولا مرجع نبحث على أساسه، نحن نعلم فقط أن جريمة ستحصل ولكن أين وكيف ومَن الهدف؟ لا نعلم، اتصال من صديقي بهاء الدين أفاقني من غيبوبة

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

اليقظـــة ودوامـــة التفكيـــر فـــي اللاشـــيء وكـــل شـــيء دون فائـــدة تُـــذكر، أجبتـــه وكلـــي أرجو أن يقول شيئا يُساعدنا:

_قُل خيرًا أرجوك.

_تمهـل، بحثـتُ فـي كـل الأمـاكن التـي نعلـم أنهـــا ســـتُقيم حفـــلات رأس الســـنة، توجـــد ثلاثـــة منهـــا يُمكـــن أن تكـــون مناســـبة لـــذلك الوضـــع، تتصـــف جميعهـــا بضـــيق المكـــان وقوة الصخب.

_أين؟

_أحـد المقـاهي فـي حـي العمـارات، مقهـى آخـر في الرياض، والثالث في شارع النيل.

_بحـــري وأم درمـــان، ألا يمكـــن أن يكـــون ذلك الشخص من عشاق تلك المدن؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_كما قلت لك، أجرينا بحثًا

ولكـــن تبقـــى كـــل الاحتمـــالات واردة، أنـــت تفقـــد هـــذه الأمـــاكن وسأواصـــل تحريـــاتي وبحثي عسى أن أتحصل على شيء.

_حسنًا، أبقني على إطلاع إن طرأ جديد.

نقلـــتُ مـــا قالـــه بهـــاء الـــدين لوالـــدي وظللنـــا نتبـــادل آراءنـــا ونحـــن ننعطـــف مـــن شـــارع المطـــــار بإحـــــدى الشـــــوارع إلـــــى حـــــي العمـــارات، بعـــد لحظـــات كنـــا أســـفل مقهـــى ليـــالي أديـــس وســـط العمـــارات، دخلنـــا كـــأي رواد عـــاديين نرســـم المكـــان فـــي ذاكرتنـــا، لـــم أتـــرك بقعـــة إلا ونصـــبتُ عينـــاي عليهـــا، مكـــانٌ عـــادي أقـــل مـــن تلـــك الصـــورة التـــي رســـمتها بعقلـــي، غالبًـــا مـــا يـــأتي الواقـــع فـــي صـــورة أقـــل مـــن التوقعـــات، الكثيـــر مـــن

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الألوان وألوان الزينة، رائحة الشيشة تزاحم الأكسجين حتى يكاد يكون معدوماً، فتيات في أعمار صغيرة يتبادلن علب السجائر والقُبَل والعناق، اقتربت منا إحداهن ودعتنا للجلوس على إحدى الأرائك، سألتُها عمَّن يدير المكان وأرشدتني إلى إمرأة تجلس في الزاوية، لا أعلم إن كانت فتاة أو إمرأة، المهم أنها أنثى تختفي ملامحها خلف تلك الأشياء التي شوهت بها وجهها حتى أصبح منظره زائفًا أكثر من كونه حقيقيًا جلستُ قُبالتها وسألتها بعد السلام:

_كيف سيكون نظام الحفل الذي ستُقيمونه بعد قليل؟ طريقة الحجز والدخول وما شابه.

_للأسف، لقد اكتمل العدد، كنا قد طرحنا التذاكر وبيعت جميعها.

_كيف كانت طريقة الحجز؟

اعتدلت في جلستها وقالت بملامح يملؤها التحفُظ كمَن يخفي شيئًا:

_مَن أنت؟ لا أظنك أتيت لتحجز تذكرة حفل.

وإن كنتُ قد استقلتُ ولكن لم يصبح الأمر رسمي بعد، أخرجتُ لها بطاقتي وعرفتها بنفسي، قامت وأحضرت لي دفترًا من أحد الأدراج خلف المنضدة:

_سجلنا أسماء كل الأشخاص هنا

سيكون الدخول عبر إثبات الحجز بإشعار التحويل المالي لقيمة التذكرة.

تناولتُه منها وأخذتُ أقرأ تلك الأسماء وأنا أتمنى أجد قاتل بينهم حتى لا يطول بحثي، كيف يبدو اسم القاتل، هل سيكون مكتوبًا بلون الدم؟ دعك من هذا يا هذا، ربما سنجد شيئًا في المكان الآخر، لا أحد سيرتكب جريمة هنا حتى وإن كانت الأنوار مغلقة، كيف سيخرج لاحقًا والمكان طوله وعرضه لا يتخطى الخمسة أمتار، ولكن الأمر كان ذاته في المكان الآخر، والمكان الثالث، أحدهم مقهى أيضًا في الطابق الثاني من بناية قديمة في الرياض تستحيل إمكانية الهروب منه، والثالث صالة فنية يحيطها النيل من جانب وفي الجوانب الأخرى يحتاج المرء طائرة ليخرج منها عبر

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الجو مخترقًا سقفها، أو بعبور البوابة الوحيدة والتي أخبرني الجالس فيها أنها ستُغلق منذ الساعة الحادية عشرة والنصف حتى إنتهاء الحفل في الثانية او الثالثة صباحًا، ومنذ الثانية عشر منتصف الليل وحتى ذلك الوقت لابد أن يلاحظ أحدهم أن قتيلًا يستلقي هنا او هناك لذلك لا يمكن أن يكون هذا مكاننا المنشود، لا أعلم على أيّ أساس اقترح بهاء الدين هذه الأماكن، عدنا إلى السيارة ويكسو اليأس ملامحنا، اقترح والدي أن نعود للعمارات مرة أخرى ووافقته على هذا، ربما هو أكثر أحياء الخرطوم حياة، حيٌ يضجُ بالرفاهيات والكماليات والأضواء يقصده كل مَن

يبحث عن نزوات النفس وشهواتها ربما هذه المرة سنجد ضالتنا، عند عبورنا للنفق في مطلع شارع الواحد والستين

سألني أبي: إذا كنت تريد ارتكاب جريمة ما في مكان عام، أين ستفعلها؟

دون تفكير وجدتني أشير للسور العريض أمامنا وأقول:

_هنا.

_ساحة الحرية؟ مناسب جدًا.

صرختُ: والله هنا.

ودون تفكير أيضًا ضغطتُ على الفرامل وعدتُ أدراجي، لا يوجد مكان أفضل من هذا لفعل شيء مثل القتل، ساحةٌ مليئة بالناس ولها عدة مخارج ومداخل بحيث

تسهل عملية الهروب والتواري خلف كل تلك الجموع.

قال والدي: ولا شك أنه ستُقام حفلة هنا بل إنني أرى أنهم يشرعون في تجهيزاتهم الآن، انظر لتلك الزينة ومكبرات الصوت.

_هيا إلى العمل، لقد عدنا مرة أخرى.

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى وجدتني مع أحد الأشخاص أستفسر منه عن نظام الحفل والتأمين والمداخل والمخارج الخاصة بالساحة، قوة من الشرطة ستتواجد هنا، وتم أخذ كافة الاحتياطات الأمنية ولكن لن أطمئن لتلك التحضيرات والحِرص فمَن أراد فعل شيء هنا سيفعله ومَن أراد إدخال سلاح فسيتمكن من إدخاله بكل سهولة ويُسر،

تجولنـــا قلـــيلًا نـــتفحص الأمـــاكن والوجـــوه والملامـــح، ضـــوء القمـــر يـــزاحم كـــل تلـــك الأضـــواء الصـــناعية هنـــا، يبـــرز فـــي الأعـــالي بصـــورة مثيـــرة للعجـــب والـــذهول، يـــا لجمالـــه، تـــذكرتُ عبـــارة فـــي اللغـــز "أنـــا وأنـــت والقمـــر"، قلـــتُ فـــي نفســـي: وأنـــا أيضـًــا معكـــم، لـــن يمـــوت أحـــد هنـــا، ســـأفعل مـــا بوســـعي لأمنـــع هـــذا ولإيقـــاف تلـــك اللعبـــة الخاســـرة، ســـألعب معـــك فـــي الســـجن ولا ســـلام عليـــك أيضـًــا، تعـــال فأنـــا هنـــا، أنتظـــرك ولكن احذر فالظلام قاتل.

الثانيـــة عشـــر إلا عشـــر دقـــائق، تكـــاد الســـاحة تخلـــو مـــن المســـاحات، أُنـــاسٌ كثيـــرون جـــاؤوا لاســـتقبال العـــام الجديـــد والاحتفـــاء بـــه، هـــو مجـــرد عـــذرٌ للاحتفـــال

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أو مسمى للحفل الذي سيُقام، فهذا العام لن يفرق عن سابقه أو الذي يليه، مجرد تغييرات في أرقام التاريخ ولكن تبقى الأيام هي نفسها تُعيد ذاتها في ذات العد التصاعدي وسيعود كل شخص إلى حياته نفسها، ذات العمل وذات الزملاء وذات التفاصيل، الناس تحتاج سببًا للاحتفال فقط، بعضهم يدِّعي أن هذه الاحتفالات بمناسبة أعياد الاستقلال ولا أحد منهم رفع علم البلاد في منزله ثم لا علاقة للاستقلال بالثانية عشر صباحا، مضى الوقت بثقلٍ شديد، لا أحد يضع قناعًا هنا، كيف هي ملامح وجه القاتل؟ افترقتُ عن أبي وذهب كل مِنا في اتجاه، ما يقارب العشرون ألف شخصًا يوجد

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

قاتــل بيــنهم، تعثــرتُ بشــخصٍ لفــت انتبــاهي إليــه ببســمة غريبــة علــى محيــاه، أتــذكر أننــي رأيتُــه قبـل قليـل فــي ذلــك الاتجــاه، مضـيتُ فـي طريقـي ولـم أكتـرث، اتصـل بـي والــدي طالبًــا منــي العــودة بــالقرب مــن المســـرح الشـــرقي للســـاحة ذلـــك المكـــان الـــذي وُضِـــعَت عليـــه مكبـــرات الصـــوت ويحتشـــد حولـــه العديـــد مـــن الأشـــخاص، عُـدتُ وصـعدتُ المسـرح أُقلِّـبُ عينـاي بـين الحشـــد، لمحـــتُ ذات الشـــخص فـــي مســـافة لــم تتعــدى الخمســة عشــر خطــوة منــي، لــم يبتســـم هـــذه المـــرة، نظراتـــه تتجـــول فـــي الأرجــاء، نظــرتُ حــول محيطــه ولــم أجــد مــا يــــدعو للريبــــة، تناســــيتُهُ بعــــد أن رأيــــت والدي بينهم، ذهبتُ إليه ووقفنا حائرين.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الحادية عشرة وتِسعٌ وخمسون دقيقة، ظللتُ أُراقب الوقت، خمسون ثانية وتُطفأ الأضواء، سيبدأ العد التنازلي من عشرة لحياة أحد هؤلاء الأشخاص، أدعو أن يمنحني الله إشارة ما، إشارة واحدة فقط، لاحظ أبي نظرات الضُعف في عيني، شدَّ على كتفي وهو يطلب مني التركيز.

الثانية عشر إلا عشر ثواني، لم تُغلق الأضواء، صراخ عالي في كل مكان يحتجون على ذلك، نأسف ولكن ذلك المجنون قال أن الظلام قاتل، لن نطفيء الأضواء هذا العام، تعالوا السنة المقبلة وأفعلوا ما شئتم تحت ظلال الظلام أو اذهبوا لمكان آخر، بدأ العد التنازلي من

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

خمســــة، أربعــــة، ثلاثـــة، أثنـــان، صـــرخةٌ عاليــة خلفــي مباشــرة، أحــدهم يســقط علــى الأرض وآخـــر يـــركض أمـــامي، صــــورة باهتــة لشــخص مــا تخطــر علــى بــالي فــور رؤيتـــي لـــه، ركضـــتُ خلفـــه بينمـــا قـــام أبـــي برفـــع الشـــخص الآخـــر وركـــض بـــه ناحيـــة ســـيارة الإســـعاف التـــي اســـتدعيناها ســـابقًا، اقتــــرب الشـــخص الهــــارب مــــن الســــور الشـــمالي وعنـــدما وجـــدتُ أمـــامي بعـــض المســـاحة أخرجـــتُ مسدســـي وصـــوبتُهُ نحـــوه، أطلقـــتُ رصاصـــة لـــم أتأكـــد مـــن إصـــابته بهـــا وبعـــدها قفـــز عاليًـــا واجتـــاز الســـور، بقيـــتُ خلفـــه حتـــى تلاشـــى شـــبحه وســـط الظـــلام، عُـــدتُ أجرجـــر خطـــواتي فـــي يـــأسٍ وانكســـار، الشـــعور بالهزيمـــة يعتـــري

دواخلي، لقد نجح في فعلته رغم كل محاولاتي، أسمعُ صوت الإسعاف يعبر بشارع المطار، أطلقت الشرطة عبوات الغاز المسيل للدموع لتفريق الجموع، بقيتُ جالسًا والناس حولي يركضون تلفظ دواخلهم ذلك الأكسجين المختلط بالغاز تسيلُ أنوفهم وأعينهم، يتساقطون مختنقين يرفع أحدهم الآخر، هذا يستندُ على ذاك مغلقة أعينهم يسيرون دون رؤية واضحة، ذلك يرشُ بعض الكحول على وجه الآخر أو الخَل، أحدهم يستنشقُ أوراق شجر النِيم وآخر يستسلم لكل شيء، صراخ وأصوات إطلاق الغاز، بكاء وتذمُر، رُعب وقلق، كل الأحاسيس موجودة في ملامحهم،

تختلف من شخص لآخر، رن هاتفي ولم تكن تلك المرة الأولى، كان يرن منذ أن جلستُ هنا، سيكون الاتصال من والدي ولكن بماذا سأجيبه عندما يسألني هل استطعت القبض عليه؟ اليوم سيكون النفي إجابتي ولم أعتد هذا، اعتدتُ النجاح دومًا، دائمًا أُجيبُ بنعم لقد فعلتها، هذا أنا، كيف لا أفعل؟ كل المجرمين يخشون اسمي، يأتي شخص اليوم ويعلمني كيفية قول الـ لا، كان بإمكاني أن استمتع بهذا لولا أنه اختار اللعب بحياة الآخرين، رسالة نصية تردُ بريد الهاتف ربما أبي أيضًا أو بهاء الدين، لم يعاود الاتصال بي منذ أن أخبرني عن تلك الأماكن الثلاث ربما لم

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

يجد شيئًا جديدًا وربما يكون نائمًا الآن، أو ربما يحتفي مع أسرته في منزله الدافيء، أخرجتُ الهاتف وكانت الرسالة من والدي يخبرني أن ذلك الشخص لم يمُت، طُعن بالقرب من كبدِهِ هو بالمستشفى الآن، اطمئنَّ قلبي قليلًا، يمكنني النهوض الآن فتلك الكلمات بعثت بداخلي القليل من القوة، عاودتُ الإتصال بأبي وذهبتُ إليه في السيارة ومن هناك توجهنا للمستشفى، ننتظر خروج ذلك الشخص من العملية، قال الطبيب بعد خروجه أن حالته غير مستقرة بعد، علينا الإنتظار وتوقع كل شيء، عدنا الى المنزل في صمتٍ تام كأننا عائدون من إحدى الجنازات،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أخبرني بهاء الدين عبر الهاتف أن صديقنا عماد تلقى إصابة عندما كانوا يداهمون إحدى البيوت، ذهبنا إلى المستشفى لنطمئن عليه، وجدتُ كل أفراد المكتب هناك حتى العميد، سلمنا عليهم وتجاهلتُ وجود ذلك المدير المتغطرس، سألنا عن حالة عماد، أخبرونا بأنها إصابة خفيفة فقد خدشت الرصاصة ذراعه فقط وأنه نائم الآن، أخذتُ بهاء الدين جانبًا وسألته عما حدث، قال:

_كان عماد قد تولى قضية تلك المرأة التي عثروا عليها مقتولة في بيتها، عندما لم يتمكن العميد من الوصول إليك في وقت سابق من اليوم أوكل ملف

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

القضــية لعمــاد، أخــذ فريقًــا وذهــب لموقــع الحــادث، وبعــد التقصــي والتحــري وجــدوا خيطــاً قــادهم إلــى منــزل بضــواحي الجريــف شــرق الخرطــوم، فوجــدوا مجموعــة مــن الأشــخاص المخمــورين فــي ســطح المنــزل وقــام أحــدهم بــإطلاق النــار ثــم قفــزوا فــي المبنى المقابل وتمكنوا من الهروب.

_هل هناك خطر على حياته؟

_لا علــى حــد علمــي، فقــد قــالوا أن الرصاصــة خدشــته فقــط، أخرجوهــا مــن الحائط خلفه بعد ذلك.

_ألم تكن أنت معهم؟

_لقــد أخبرتــك عبــر الهــاتف أننــي فــي المنــزل، اتصــلوا بــي عنــدما كنــتُ أبحــث

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

معك عن أماكن تلك الحفلات ثم أتيتُ إلى هنا لذلك لم أستطِع الإتصال بك مرة أخرى ومتابعة الأحداث معك، صحيح ماذا حدث هل تمكنت من القبض عليه؟

_لا.

_لم نعتاد على هذه الكلمة منك ولكن لا تقلق، حتمًا سنجده.

_سنجده، نعم، أنا سأذهب، اتصل بي إذا حدث شيء، وأخبر عماد أنني كنتُ هنا وسآتي صباحًا.

_حسنًا، اعتنِ بنفسك.

_وأنت أيضًا.

عدنا إلى المنزل أخيرًا، يُعد اليوم من أسوأ أيام حياتي، فتحتُ الباب الخارجي

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

فإذا بظرفٍ آخر يسقطُ أمامي، قلتُ في نفسي: أنتَ لم ترى شيئًا بعد، السوء مازال يتساقط.

رفعتُ الظرف وتبادلنا النظرات أنا وأبي، فتحتُهُ:

_"لم يصفوك بالأفضل عبثًا ولكنك دمرت كل شيء، المتعة في الظلام يا صديقي، لماذا لم تُطفِئوا الأنوار؟ لنرى ماذا ستفعل هذه المرة، هل ستُجبر الشمس على البقاء أم ستُعجِّل طلوع القمر؟، إليك اللغز أيها الذكي "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد"، هل تتذكر الشروط؟ لا يوجد وقت محدد، وأيضًا هذه المرة إن كنت ستُطلِق فتأكد

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

من أنك ستصيبني وإلا المرة المقبلة أنا سأطلق عليك".

مددتُ الظرف لوالدي وذهبتُ للنوم، لن ينتهي كل هذا أعلمُ ذلك، إذا انتهى هذا الشخص سيأتي غيره، هي فترة ضغطٍ إن ركضتُ خلفها بكل ما أملك فسأسقط في منتصفها، بين كل هذه الضغوطات لا يجب علينا نسيان أنفسنا ومنح أجسادنا القليل من الراحة وأعيننا القليل من النوم وأذهاننا القليل من الصفاء وإلا لن يسعنا فعل شيء غدًا، نمتُ كأنني لم أنُم أبدًا، استيقظتُ في الحادية عشر صباحًا، وجدتُ مذكرة من والدي يقول أنه ذاهب لأم درمان، ليته أخذني معه، أشتاقُ كثيرًا لعاصمة الرياضة والجمال، أم

درمان هي حبيبة مَن لا حبيبة له، سأنتهي من كل هذا وأذهب إلى هناك آخر الأمر، وجدتُ عدة مكالمات من بهاء الدين وأخرى من ذلك العميد المتغطرس ومكالمة ثالثة من رقم لا أعرفه، عاودتُ الإتصال ببهاء الدين الذي أخبرني أن عماد قد خرج من المستشفى وهم معه في بيته الآن، حسنًا الآن عِلمتُ وُجهتي سأذهب حيثُ الرِفاق لن تمضي الحياة بدونهم، الرِفاق هم الطاقات التي تُبقي شعلة الضوء بداخلنا مشتعلة، هم الأيادي الخفية التي تتصدى لبؤس الأيام وكدرها، لا تطيب الحياة بدونهم ولا يطيب البقاء لإمريءٍ يعيش وحيداً دون أصدقاء، الصداقة هي إحدى

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الأعمدة التي يقوم عليها هذا الكون، وعند خروجي من المنزل وجدتُ الظرف على الطاولة بجانب الباب، لقد نسيتُ أمره تمامًا إنني كثير النسيان هذه الأيام، فتحتُهُ وقرأتُ ما بداخله مرة ثانية ثم وضعته في جيب المعطف وخرجتُ، قُدتُ السيارة إلى مدينة بحري حيث يسكن صديقنا عماد، حملتُ معي العديد من الأكياس والفواكه وإن كانت قليلة، أتذكر عندما أُصِبتُ آخر مرة جاؤوا إليَّ وأيديهم تمتلىءُ أكياسًا، لم أعلم هل أُصِبتُ أنا وحدي أم هناك آخرون، الكثير من الأشياء لرجل واحد، بربكم هذه تكفي الدولة شهرًا، هذا إسراف، أتذكر كيف تذمرتُ في وجوههم حتى نسوا

أنني مصابًا وضربوني، أكثر ما يعجبني فيهم هو جو الإخوة الذي نعيشه، وجدتُ بعض الأشخاص والآخرين خرجوا لأشغالهم، منهم مَن سيعود ومنهم مَن لا يعلم، سلمتُ على صديقي المُصاب وجلستُ عند قدميه، غرفة واسعة تحتوي سريرًا واحدًا من الخشب وعلى كِلتا قدميهِ اللامعة رسومات فنية لا ترمز لشيء، مجرد خربشاتٍ جميلة، صور عماد تملأ الجدران، شهادات تقديرية ولوحة الموناليزا، ما الجميل في هذه اللوحة، إمرأة ليست بذلك الجمال، لا عيناها ولا خصلاتها ولا أنفها، ابتسامتها باهتة جدًا كابتسامة شخصٍ أُنقِذَ من الانتحار وحُكم عليه بالمؤبد،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أريكة كبيرة بجانب الجدار أسفل تلك الشهادات مقابل السرير، مدفأة على الركن يعتليها رف صغير عليه أثنان من الشمع، مكتبة صغيرة تحتوي على عدد لا بأس به من الكُتُب.

سألتُ عماد: هل هذه غرفة أم مكتب؟

_غرفتي ومكتبي الخاص، هنا أكون كما أريد، أعمل في كل الأوقات وأتوقف عندما أريد أنا، لا ذلك العميد ولا الداخلية لديها سلطات هنا، بالمناسبة سمعتُ أنك استقِلتُ.

_نعم صحيح.

_لا تُصدق نفسك ذاك الرجل لن يتركك،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

جلبت له ثلاث ترقيات في فترة وجيزة، الرجل سيكون وزيراً للداخلية إن استمررتَ معه بضعة أشهر، هل سيتخلى عنك الآن؟

ضِحكنا جميعًا وتعالت أصواتنا فنحن نعلم ما السبب الذي يدفع العميد للتمسك بي.

_لا أهتم بترقياته هذه المرة لن أعود لذلك المكتب.

هشام ضاحكًا: ستعود يا ابني، أعدك.

هشام كان قد أتانا قبل ستة أشهر منقولًا من ولاية البحر الأحمر، شخص مرِح ذو دمٍ خفيف،،لا أتذكر أنني رأيتُهُ عابس الوجه أبدًا، دائمًا تلك الابتسامة الساحرة موجودة على ثغرهِ، ملامحه أقرب لأن تكون صفراء، عيناهُ عسليتانِ صغيرتانٍ

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ذات شكلٍ جميل، أحيانًا استغرب لِمَ اختار كلية الشرطة وهذه الأجواء المشحونة بالكدر والمخاطر، ربما كان عليهِ أن يكون طبيبًا أو مهندسًا أو حتى معلمًا بإحدى الجامعات ولكن في الأخير هي رغبات.

_وأنا أعدك وأعدكم جميعكم أنني وإن عُدتُ فستكون صلاحياتي أكبر من عميدكم ذاك كما أنني لن أكون تحت إمرته وسأختارُ قضاياي بنفسي.

قال عماد وسط ضحكه وضحك اولئك:

_بالطبع فأنت الابن المدلل للداخلية.

لا أنكر أنني ضحِكتُ أيضًا، ابن الوزارة المدلل، إنهم ينادوني هكذا أحيانًا، لا

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بـــأس فهـــذا يروقنـــي كثيـــرًا كمـــا أننـــي أستحقُ ذلـك الـدلال فهـو لـم يـأتِ مـن فـراغ، نهضتُ واقفًا وقلتُ:

_لدي بعض الأعمال، هل ستبقون هنا؟

أجابوا بأنهم سيخرجون أيضًا بعد قليل.

_حسنًا، نلتقي مساءً في ذلك المطعم.

لـديـنا مكـان محـدد نجتمـع فيـه ونهـرب إليـه مـن بـؤس العمـل، مطعـم وسـط الريـاض يتميـزُ بقِلـة الـرواد والهـدوء، بـالرغم مـن أن خدماتـه فـي منتهـى الدِقـة والروعـة إلا أنـه مكـان مكشـوف، طاولاتـه فـي فنـاءٍ متسِـع تحـت مظـلات متحركـة وكـل طاولـة أمـام مـرآى الأخـرى، ربمـا لهـذا السـبب لا يـأتِ إليـه كثيـر مـن النـاس سـوى بعـض

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الأسر والعائلات، لا أعلم لِمَ الناس يفضِّلون الأماكن الضيقة والمغلقة، إن أرادوا الخصوصية فهي تتوفر هنا أيضًا إذ أنه لا يمكن لشخص هنا أن يسمع ما يُقال في طاولة أخرى ولكنهم يريدون التسَتُرِ والخلو، مكالمة أخرى من ذلك الرقم الغريب، لم أرد، وضعتُ الهاتف على المقعد الآخر وفتحتُ النافذة استنشِقُ رائحة المياه وأنا أعبر جسر شمبات إلى الضفة الأخرى حيث حبيبتي أم درمان، انعطفتُ جنوبًا بميدان الخليفة وواصلتُ سيري أشقُ أحياء الموردة وصولًا لشارع النيل، اتصلتُ ببهاء الدين وطلبتُ منه التحري مع ذلك الرجل الذي أُصيب ليلة أمس بساحة الحرية

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ويخبرني فيما بعد، توقفتُ بمكانٍ قريب من المسرح القومي وذهبتُ راجِلًا حتى وقفتُ فوق كتف النيل تلفحني نسمات الهواء الباردة المحملة برائحة المياه وعبق الأغصان والجذور والطين، أنظُرُ إلى الخرطوم في الضفة المقابلة كمدينة صغيرة تمتلئ بالدماء والإرهاب، الناس لا يجدون فرصة للخروج وهم آمنون، قد يكون بجانبهم معتوهًا يحملُ سِكينًا ويتربَصُ بأحدٍ منهم، هم لا يعلمون هذا لذلك تجدهم يتجولون وهم يلوحون بالأيدي، لا يعلمون أن تلك التلويحات قد تصل لمكان غير الذي بُعِثت إليه وتُثير انتباه شخصٍ يمارس القتل كهواية ليس إلا، قد لا يرون كل

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ذلك وربما لم يستطيعوا رؤية كل اولئك الذين سقطوا على الرصيف أو تحت جزع نخلة أو بين الأشجار في تلك الغابة لكننا في فرع الجريمة نرى هذا كل يوم، فتاةٌ وُجِدَت ميتة في توتي عثر عليها أحد الأشخاص، شابٌ لقيَ حتفه إثر عدة طعنات لم يتمكن من التصدي لها ثم أُلقيَت جثتهُ بجانب الطريق منتصف الليل، رجلٌ في الأربعين من عمره يلقى حتفه وقد سُرق كل ما كان بحوزته ليلًا حينما كان عائدًا من عمله، طفلٌ مفقود وفتاة مُغتصَبة ماتت خنقًا، كل ذلك لا أحد يراهُ ولكننا نعيش بينه، قد تتلقى خبرًا بينما تتناول إفطارك في المكتب أو قد يأتيك حينما تنوي الخلود

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

للنوم في منتصف الليل، أو تجد ظرفًا بجانب باب بيتك يحمل تفاصيل مُبهمة عن جريمة قتل، ضحِكتُ وأنا أكرر:

_ظرفًا بجانب باب بيتك يحمل تفاصيل مُبهمة عن جريمة قتل، أين ذلك الظرف الآن؟

أخرجتُه من جيب المعطف ورميتُهُ، هو في كنفِ النيل الآن فليذهب به أين شاء، شاب وفتاة يجلسون على بُعد مسافة مني، ذهبتُ نحوهم حتى دنوتُ منهم ثم جلستُ صامتًا أتفحصُ وجوههم، فتاة قمحية السحنة تبتسمُ بسبب وبدون سبب الآن أعلم لِما يواعدها هذا الفتى، لديها ابتسامة رائعة تخطف الأحزان وهذا سبب كافي يجعلني أهيمُ عشقاً بأي فتاة تمتلكه، عيناها صغيرتانِ نافِذتان يشِعُ

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بريقًا من بين رِمْشَيها، ترتدي بنطالًا من الجينز مع سترة زرقاء زاهية، قالت مبتسمة:

_مرحبا.

نكزها الفتى في محاولة لردعها، توجهت نظراتي إليه، شابٌ بملامح طفولية وسيمٌ إلى حدٍ ما، لا هو وسيم جدًا، ملامحهُ مرتابة بعض الشيء، قلتُ في محاولة لإزاحة الريبة تلك:

_هل يمكنني مشاركتكما هذه الجلسة إن أردتم طبعًا!

قال الفتى: لقد شاركتنا وانتهى الأمر.

قالت الفتاة: هل ترغب ببعض المقرمشات؟

مدت لي كيسًا كانت تحمله، أخذتُهُ منها وقلتُ:

_لا تكترثوا لوجودي، تحدثوا عما شئتم، إن أردتُم فتحدثوا عني أيضًا، مجنون جلس بجانبنا دون دعوة ويطلب منا ألا نكترث لوجوده، نعم هو شيء جنوني ولكنني لستُ، لستُ مجنونًا، انا فقط.

قاطعتني الفتاة بصوتها الرقيق:

_ماذا بك؟ تبدو كطفلًا يريد البكاء وهو يُلقي تبرير شيء لم يفعله.

نظرتُ بداخل عينيها وتأملتُها هي لطيفة حقًا كما أن لديها بصيرة نافذة كعيناها.

_لا، لا يوجد شيء، حسنًا أنا سأذهب.

نهضتُ وعُدتُ أدراجي إلى السيارة، جلستُ بداخلها دون حركة ورُحتُ أفكر، هل حقًا أرغبُ بالبكاء؟ نعم أودُ ذلك،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

تذكرتُ أمي وبيتنا بسوره الحديدي الذي تتشابك الأشجار عليه، شجارات والدتي مع أبي حينما يقوم بتشذيب الأشجار بطريقة خاطئة وعودته لها آخر الأمر معتذرًا بوردة من الحديقة، أحسستُ وكأنني في بلاد أخرى، إحساسٌ بالغُربة يجتاحني يدفعه شوق مرير، تسللت دمعة من عيني، أودُ البكاء فعلًا، المرء يحنُ لأهل بيته بل يحنُ للبيت ذاته أيضًا، تلك الجدران التي كبرتُ بينها، الأبواب التي اعتدتُ فتحها واعتادت دخولي وخروجي، نافذتي الزجاجية التي تحملُ لي نسيم الخارج قد اعتادت وقوفي بجانبها كل صباح أحتسي قهوتي، شارع المنزل والأشجار التي تتناثر هنا وهناك،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بـــابُ المنـــزل الخـــارجي حينمـــا كنـــتُ أجلـــس بجانبـــه مـــع والـــدي حـــين عصـــيرة، بـــاب، أبـــواب، "ارفعـــوا أيهـــا الرؤســـاء أبـــوابكم وارتفعـــي أيتهـــا الأبـــواب الدهريـــة فيـــدخل ملـــك المجـــد" ذلـــك اللغـــز يبـــدو كتلـــك الكلمـــات التـــي تُقـــال فـــي الممالـــك القديمـــة، هـــل هـــو شـــعار مملكـــة يابانيـــة أم مقولـــة معـــارك؟ ترنيمـــة إغريقيـــة طوتهـــا الصـــفحات؟ أبـــوابٌ دهريـــة، ملـــك مجـــد، مَـــن ملـــك المجـــد هـــذا؟ يســـوع، نعـــم هـــو يســـوع ولكـــن مهـــلًا، الآن أحسســـتُ بالتوهـــان أكثـــر، مـــاذا يعنـــي هـــذا؟ هـــل ســـيرتكب جريمتـــه فـــي مقبـــرة مســـيحية أم كنيســـة؟ أعتقـــد أنهـــا مقبـــرة، لا يمكنـــه ســـفك الـــدماء فـــي مكـــانٍ مثـــل الكنيســـة ولكنـــه معتـــوه ســـيفعل كـــل مـــا هـــو غيـــر متوقـــع فتلـــك

عادة المجانين مثله، رن هاتفي وكعادته كان بهاء الدين والذي لم يخبرني بشيء يفيدني، كل ما قاله أن الرجل يسكن في أحياء سوبا يعمل مهندسًا في شركة الكهرباء، شخص في حاله لا أعداء له، ماذا يفعل مهندس في حاله بساحة الحرية واحتفالات راس السنة؟

جاءني رد ذاتي: أليس من حق المهندسين التمتع بحياتهم أيضًا؟

_حسنًا، حسنًا يمكنهم ذلك، لا أنوي التحدث معك فأبدو مجنونًا الآن.

تلك كانت عادتي الرائعة وهي صُنع حوارات داخل رأسي، أتحدث مع الجزء الواعي مني، أسأله نيابة عن الجزء الذي لا يفقه شيئًا بداخلي فيرد هو بكل

منطقيــــة واستحســــان، طــرقٌ علــى زجــاج السـيارة أيقظنــي مــن غفلتــي وقطــع حركــة أفكــاري، نظــرتُ فوجــدتها فتــاة الشــاطيء تلــك، أنزلــتُ الزجــاج فأتــاني صــوتها نغمًــا هادئًــا تُعيــد لــي كلمــاتي نفســها التــي قُلتهــا لهم قبل قليل:

_هــل يمكننــي مشــاركتك هــذه الجلســة؟ إن أردتَ طبعًا.

وأشــارت بيــدها نحــو المقعــد الآخــر، لــم أتفاجــأ بســؤالها ذاك ففــي تلــك الــدقائق القليلــة التــي جلســتُ فيهــا بجــانبهم علمــتُ أنهــا فتــاة جريئــة، دعوتُهــا للجلــوس فالتَفَّــت أمــام السـيارة وجــاءت مــن البــاب الآخــر، جلســت بهــدوء فضــجت ســيارتي برائحــة عِطرهــا، تبــدو كالفتيــات اللاتــي يــتم

صُـــنعهن لتســـلية الصـــغار، رقيقـــة قابلـــة للكســـر رغـــم ذلـــك القِنـــاع الصـــامد الـــذي تضعهُ، قلتُ لها:

_أراكِ تجتهـدين فـي الظهـور بهـذه الكيفيـة ربمـا أكـونُ أرغـبُ بالبكـاء حقًـا وهـذا شـيء قـد يتضـح في ملامحي بعض الأحيان ولكن أنتِ

التَفتـــت نـــاحيتي وثبَّتـــت نظراتهـــا داخـــل عينـــي، لـــم ألاحـــظ ذلـــك مـــن قبـــل ولكـــن لـــديها عينـــانٍ جميلتـــانٍ للحـــد الـــذي يشـــعرني بـــأني لا أرغـــب فـــي رد طرفـــي أبـــدًا، فيهمـــا مســـحةً مـــن الحـــزن الـــذي تحـــاول جاهـــدةً إخفـــاؤه، رمشـــاتها مميـــزة أشـــبهُ بكـــاميرا تلـــتقط تفاصيل الأرجاء كل غمضة، قالت:

_ولكن أنا ماذا؟

_تحــــاولين الظهـــور بتلـــك القـــوة المزيفـــة التـــي تبـــدو عليـــك، ابتســـامتك رائعـــة ولكننـــي أتســـاءل إن كانـــت بتلـــك الروعـــة وهـــي مزيفـــة، كيـــف تكـــون الابتســـامة الحقيقيـــة التـــي تنبـــع مـــن قلبـــك؟ تحـــاولين إخفـــاء انكســـارك بهـــا ولكنـــكِ نســـيتِ أن العينـــان تفضـــحان كـــل شـــيء، للعيـــون طريقتهمـــا التـــي لا تتقيـــد بـــكِ، إنهمـــا يفصـــحان عـــن كـل ما بداخلك دون الرجوع إليك.

قالت وقد أشاحت نظرها عني وبهتت ابتسامتها:

_لا أظنك طبيب نفسي؟

_لا، لكن ظروف عملي منحتني إمكانيـة معرفـة المرء وما يُسِرُهُ وما يعلنه كأنني أنظر بعقله.

سألتني بنبرةٍ فضولية مستغربة:

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_ماذا تعمل؟

هنا اعترافي الصمت، أنا نفسي لا أعلم ماذا أعمل الآن، استقلتُ البارحة من عملي كمتحرٍ ومازلتُ أواصل العمل لكن بصورة غير رسمية، هي لن تفهم كل هذا لذلك قلتُ لها أنني لا أعمل حاليًا، وألقيتُ عليها سؤالًا لم يتوقعه كلانا:

_لو كنتِ تنوين ارتكاب جريمة قتل في أحد هذين المكانين، الكنيسة أو المقبرة، أيهما ستختارين؟

لم يُثِر سؤالي أي شيء فيها، ما هذه الفتاة، ألا تخاف أبدًا؟ أجابتني بهدوء غريب:

_المقبرة طبعًا.

_لماذا؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لأن الكنيسة دار عبادة لا يمكنني قتل أحدًا هناك.

_إذًا ستفعلينها في المقبرة.

_نعم سيكون الأمر ممتعًا إذ أن المقبرة ستكون هادئة جدًا ويمكنني الاستمتاع بأنين ضحيتي وصراخه وتوسلاته.

لا أنكر أنني انا الذي ارتعبتُ، هذه الفتاة تُصيبني بالذهول مرارًا وتكرارًا، كل كلمة تخرج منها تجعلني أكثر رغبة في معرفة باطنها.

_حسنًا يتوجب علي الذهاب الآن، هل نلتقي لاحقًا؟

_لا سأذهب معك.

لا أعلم ما الذي تفعله هذه الفتاة، تصرفاتها غريبة تنبع من براءةٍ وسذاجة، بعد عناءٍ ووعد بأنني

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

سألتقيها مساءً حتى تمكنتُ من التخلص منها، كانت تُصِّرُ لأن تذهب معي، تبادلنا أرقامنا وعادت مرة أخرى إلى ذلك الفتى على الشاطيء، تقول انه صديقها وكل ما تملك في هذه الحياة بل هو أيضًا لا يملك شيئًا سواها، تقاطعت طُرُقاتهما حينما كانا صغيران يعيشان بين الشوارع وأزقتها الرمادية، توقفتُ في كنيسة السيدة مريم العذراء بالخرطوم ثم عبرتُ أبوابها، وجدتُ رجلٌ عجوز يكسو رأسه الشعر الأبيض، حيَّيته بيدي فقط إذ لم تكن لي معرفة كافية بالدين المسيحي، سألته عما إذا كان هناك أحد بالداخل، قال ونظراته على الأرض دون أن يتحرك وبهدوء ثقيل:

_الجميع في المقبرة الآن.

_أي مقبرة، مَن مات؟

_راهب الكنيسة توفي عصر أمس وسيتم دفنه الآن أو ربما تم دفنه.

_أين سيدفنونه؟

_في المقبرة التي بجانب السوق المركزي.

عُدتُ أدراجي تاركًا العجوز لسكونه وهدوءه، ربما هذه طريقته في إقامة الحِداد، فكرتُ كثيرًا وأنا أشقُ طريقي وسط أحياء الصحافات بالخرطوم مخترقاً المساحات والإسفلت وإشارات المرور والهواء نفسه، إذًا قاتِلنا هذا يعلم بكل شيء، الوفيات والمواليد والزيجات، يخطط لكل شيء مسبقًا، لقد

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

قللـــتُ مـــن شـــأنه كثيـــرًا واســـتخففتُ بـــه وربمـــا هـــذا هـــو الســـبب فـــي عـــدم تمكُنـــي مـــن القـــبض عليـــه حتـــى الآن، ليـــتمكن المـــرء مـــن النيـــل مـــن أعـــداءه يجـــب عليـــه فهـــم طريقـــة تفكيـــرهم واســـتباقهم بخطـــوة دائمًـــا، أن يظـــل متربصًـــا ينتظـــر عبـــورهم تلـــك الخطـــوة ومـــن ثـــم يـــنقضُ علـــيهم كمـــا تـــنقضُ النســـور علـــى ضـــحاياها بســـرعة وخفـــة ورشـــاقة قبـــل أن يســـتوعبوا مـــا حـــدث يجـــدون أنفســـهم يحلقـــون فـــي الهـــواء تحتضـــنهم مخالـــب نســـر عمـــلاق سأصـــطادُه بـــذات الطريقـــة دون أن يعـــي شـــيئًا، رن هـــاتفي وقـــد كـــان دائمًـــا الســـبب فـــي اســـتيقاظي مـــن غفـــوات اليقظـــة تلـــك، إننـــي كثيـــر الشـــرود والنســـيان هـــذه الفتـــرة، كـــان

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

المتصـــل صـــديقي عمـــاد، أحسســـتُ بـــأنني لا أود الرد عليه ولكنني فعلت:

_عماد، كيف حالك الآن؟

_إنني بخير ولكن لستُ مثلك.

_لم أفهم!

_أين أنت؟

_لدي القليل من العمل، هل خرج الجميع؟

_نعـــم لقـــد ذهبـــوا، ســـمعتُ أنهـــم نقلـــوا العميـــد لولايـــة الجزيـــرة والـــذي جـــاء محلـــه يســـأل عنـــك منـــذ مجيئـــه ويتصـــل بـــك، لمـــاذا لا ترد على الرجل؟

_صـــحيح هنـــاك رقـــم غريـــب يعـــاود الاتصـــال بـــي منـــذ الفجـــر ولكننـــي لـــم أعلـــم بنقـــل العميد سوى منك الآن.

_كيـــف ســـتعلم إن كنـــت لا تـــرد علـــى هاتفك، أنت تتدلل كثيرًا.

_حبًــا بــالله دعنـــي يـــا عمـــاد انني غـــارق حتى أُذناي، أي دلال تتحدثون عنه؟

_حسنًا، حسنًا، لم نقل شيئًا، هون عليك.

_هل يمكنني الاتصال بك فيما بعد؟

_نعم، نعم، ولكن عليك المرور بالمكتب.

_حسنًا سأفعل.

أغلقـــتُ الهـــاتف نهائيًـــا ووضـــعتُه بـــدرج الســـيارة، كنـــتُ قـــد وصـــلتُ حينهـــا، ذهبـــتُ بالاتجـــاه الآخـــر وتوقفـــتُ بمكـــانٍ مـــنخفض يمكننـــي منـــه رؤيـــة كـــل المقبـــرة بصـــورة جيـــدة دون أن تبـــدو الســـيارة واضـــحة، قبـــور كثيـــرة تمتـــدُ شـــرقًا وغربًـــا متراصـــة

بعضها خلف بعض، صفوف كثيرة منها، هل كل هؤلاء سيذهبون للجحيم؟ لن نجد مكانًا لنا حينها، يرد صوت بداخلي:

_أنت لست الرب لتُحدد مصير هؤلاء الأموات.

_ولكنهم ماتوا على غير الاسلام!

_الله وحده هو مَن يحدد، لا تخوض فيما لا يعنيك.

_الله يغفر كل شيء الا الشِرك.

_قلت لك انتهي وركز فيما جئت لأجله.

_حسنًا.

صوبتُ كل تركيزي نحو جريمتي المنتظرة، أُحب أن أكون مجنونًا وأتحدث مع نفسي، بعض التناقضات بعقلي لا أحب طرحها على أحد فأُخصص جزئين مني أحدهما يسأل والآخر يجيب،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أستمتعُ بذلك حقًا، لا أحد في المقبرة يبدو أنهم قد ذهبوا، بقيتُ بداخل السيارة دون أدنى حركة، أرجعتُ المقعد للخلف وأخرجتُ كيس المقرمشات ذلك ثم فتحتُ الموسيقى، جاء صوتُ العندليب الأسمر عبدالحليم حافظ من بين أركان السيارة عذِبًا طروبًا يتزيّل تلك المقطوعة الموسيقية الرائعة التي تستهل بداية أغنية زي الهوا:

زي الهوا يا حبيبي زي الهوا

آه مِالهوا يا حبيبي آه مِالهوا

هذه الكلمات تأخذني بعيدًا، بعيدًا جدًا عن كل شيء أسبحُ في فضاء إبداع المُغني، أنعطف معه وأعرج مع تعرجاته أسلمه ذهني وقلبي فليذهب بهم حيث

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

يشاء، إلى ديار سماءها وردية يتساقط الحُب منها غيثًا تداعب قطراته خد فؤادي، وما ألبث أن أجدها مجرد لسعاتٍ من صقيع البُعد والفراق، زي الهوا، أثارت انتباهي حركة وسط المقبرة، فتاة تقترب وتجلس عند ركن أحدِ القبور تُغطي شعرها بوشاح يخفي بين أطرافه ملامح وجهها، تداعب ظاهر القبر وشاهدهُ بيدها الصغيرة، مكثَت قليلًا ثم نهضت تنوي مغادرة المكان بخطى ثقيلة بين الأجداث، لا شيء مريب حتى خرجت، انتظرتُ ساعة واثنان وثلاث وعندما توارى شفق المغيب وأظلمت الدنيا رأيتُ شبح شخصٍ ما، لم تكن الرؤية واضحة جدًا ولكنني تمكنتُ من

تمييــزه، شــخص متوســط الطــول يقتــرب مــن آخــر قبــرٍ أمــامي يفصــل بينــي وبينــه الســور فقــط، لا أظنــه انتبــه للســيارة فلونهــا الأســود يشــبه ذلــك الظــلام، وقــف الرجــل فــوق إحــدى القبــور هادئًــا دون حــراك، بقيــتُ أنتظــر، مــاذا يفعلــون؟ لا أظــنهم يرفعــون أيــديهم لقــراءة الفاتحــة مثلنــا؟ أحسســتُ بشــيء مــن الــنقص لأننــي لا أعــرف الكثيــر عــن هــذه الديانــة، هــي لا تلزمنــي نعــم ولكــن علــى المــرء أن يعلــم، غالبًــا تلــك الأشــياء التــي تظــن أنــك لــن تحتاجهــا ســيأتي وقــت وتكــون فــي أشــد الحوجــة إليهــا، لــم يتحــرك الرجــل أبــدًا حتــى ظننــتُ أنــه صــلب نفســه هنــا، هــل هــو القاتــل أم الضــحية؟ لــم تكــن الإجابــة تعنينــي كثيــرًا

ففي كل الحالات هناك أحدٌ آخر سيأتي، لا أظنه سيقتل نفسه ليكون الاثنان، نزلتُ من السيارة بهدوء وبقيتُ جالسًا على الأرض، ذهبتُ حانيًا رأسي وظهري حتى ابتعدتْ عنه مسافة قدرتُها بعشر قبور على امتداد الصف الذي يقف فيه بمحاذاة السور ثم تسلقته للداخل بهدوء دون أن يلاحظني وظللتُ خلف إحدى الأحجار أنتظر، لا أعلم ما الذي أنتظره تحديدًا هل أنتظر موت هذا الشخص الذي أمامي أم أنتظر لآراه يقتل شخصًا آخر؟ لم يدُم انتظاري أكثر من هذا فهناك وقع أقدام يقترب، يدنو أكثر فأكثر ولكن لا أرى شيئًا وهذا الرجل أمامي لا يتحرك، بدأتُ أنظر في الأرجاء

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا ولا أحد يمضي أو يأتي.

_ألم أقل لك أنني سأنال منك، الآن وقت الحساب.

صوت مَن هذا؟ لا أظنني أتوَّهم، لقد سمعتُ ذلك حقًا، وأعلم أيضًا أنه ليس بصوتٍ غريب هو مألوف جدًا، ركزتُ عيناي على الرجل في رأس القبر، هو أيضًا وجدتُهُ مشدوهًا مثلي ينظر عن يمينه وعن شماله، لا أعلم إلى أين أقود السيارة تمضي فقط وسط الخرطوم، ضاقت نفسي وشعرتُ بضباب كثيف حولي، ماذا سأفعل بذلك الرجل، مَن يظن نفسه ليلعب بي هكذا، سأقتله، أقسم أنني سأخنقه بيداي، عندما رأيت معطفه وهو يركض ليلة أمس بالساحة

شعرتُ بشيء ما، ذات الشعور راودني اليوم، لم يكن يرتدي معطفًا ولكني شعرتُ كأني أعرفه، وصوته، صوته ليس غريبًا أبدًا، هو ينجح دائمًا بالفرار وأنا سئمتُ كل هذا، للمرة الثانية تُخطيء رصاصتي هدفها، لم أعتَد على هذا الجانب مني، لقد أنساني الرجل طعم الانتصار، لقد حللتُ قضية بالأمس ولكن ما فعله بي هذا الرجل في ليلة أمس واليوم سلب مني كل أحاسيس الانتصار السابقة، سنتين وأنا لم أفشل في شيء قط، سأخنقك بيدي يا هذا، لا أعلم من أي الإتجاهات أتى، وجدته خلف الرجل فقط يستعد للانقضاض عليه وتهشيم رأسه بتلك المطرقة التي كان يحملها،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أخطأتُ التصويب وذلك لأنني خشيت أن تضل الرصاصة طريقها وتُصيب الرجل الآخر، الرجل الآخر، يا له من شخص غبي، لقد فر معه هو أيضًا عندما سمع صوت الرصاص، كاد الرجل أن يقتلك يا هذا، لقد رأيته بعينيك حينما دفعك وتسلق الجدران، لماذا تهرب أنت، يا لك من شخص جبان! ها أنا أعود خالي الوفاض كالليلة السابقة، الشعور بالهزيمة هو أكثر ما يزعج شخص لم يعرف طعم الهزيمة أبدًا والآن أعيشها لليوم الثاني تواليًا، دون وعي وجدتني جئتُ للمكان الذي تواعدنا فيه أنا وبقية رفاقي في المكتب، كنتُ دائمًا أهرب إليهم في مثل هذه اللحظات، أراهم من

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بعيد يجلسون يتبادلون ضحكاتهم الرائعة التي ما فشلت في تلطيف الأجواء حولي ذلك عماد يُقبل نحوهم متأخرًا كعادته، بهاء الدين كما يفعل دائمًا يحتسي عبوات الكولا بشراهة كأنها مياه غازية، هشام بملامحه المريحة وابتسامته الطاهرة العذبة يوزِّعُ المائدة كل حسب طلبه، هذه المرة لا أرغب بالإنضمام إليهم أبدًا، لم يعتادوا عليَّ هكذا، جئتُهم من قبل في أسوأ لحظاتي نعم ودائمًا ينتشلون أحزاني كأنها لم تكُن ولكن الأمر مختلف كثيرًا هذه المرة فمثل هذا الفشل لا أرغبُ بنسيانه أبدًا، كنتُ أمضي باتجاه المنزل حينما تذكرتُ تلك الفتاة ووعدي لها، هاتفي مغلقًا مرميًا

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بدرج السيارة منذ منتصف النهار، وجدتُ عدة رسائل من والدي يخبرني أنهم يريدونني فورًا في الوزارة، تبًا لكم بوزارتكم ألا يستريح المرء حتى بعد الاستقالة؟ بأي لغة أخبركم أنني أستقيل؟ أخبروني لأرتاح من ظلكم هذا، أرسلتُ رسالة لأبي أخبرته فيها أنني سأمر على المكتب صباحًا لأخذ أغراضي وكتابة استقالة رسمية، إنهم يضغطون علي بوالدي، أعلم هذا فلديه أحد أصدقاءه يعمل هناك، لا أعلم ما رتبته أو منصبه ولكن لديه شخص في الداخل، أعلم أيضًا أنني لا يمكنني الاستقالة بهذه البساطة فالمؤسسات العسكرية ليست كباقي المَرافق تغادرها متى ما أردت ولكنني

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أمـــارسُ ضـــغطًا علـــيهم كمـــا يفعلـــون معـــي، مكالمـــات مـــن عمـــاد وبهـــاء الـــدين وهشـــام، ذلـــك الـــرقم الغريـــب لا ينفـــك يتصـــل، اتصـــلت بتلـــك الفتـــاة قالـــت أنهـــا علـــى الشـــاطيء فـــي ذات المكـــان تنتظرنـــي، مـــا كـــل هـــذا الوفـــاء؟ حينمـــا كنـــت أمـــرُ بالســـوق العربـــي متجهًـــا للضـــفة الأخـــرى مـــن النيـــل رن هـــاتفي، هـــو ذلـــك الـــرقم الغريـــب، يـــا رجـــل الســـاعة الثامنـــة مســـاءً الآن، حُبًـــا فـــي الله دعنـــي، أجبته هذه المرة:

_نعم؟

_انتظرك في المكتب الآن.

_مَن أنت؟

_عندما تأتي ستعرف.

_لدي بعض الـ

_نصف ساعة تكون أمامي لتُفسر لي إطلاقك للنار في الأماكن العامة وساحات المقابر.

أغلق الخط في وجهي كأنني كنتُ أنتظرك، من أين عِلم بموضوع المقبرة هذا ولم يمض على الأمر نصف ساعة بعد؟ أعلم أن هناك شيء ليس بمكانه، إذا افترضنا أن القوات التي كانت بالساحة أخبرتهم بأمر إطلاق النار، ذلك ممكن، عليهم كتابة تقرير ولكن من أين عِلم بإطلاق النار في المقبرة؟ الأمر لم يتجاوز النصف ساعة حتى الآن ولا أحد يعلم به سواي بالإضافة لذلك الرجل الجبان الذي كاد أن يفقد حياته بسبب خوفه وذلك القاتل المعتوه، لا أعتقد أن

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أحـــدًا مـــنهم ســـيخبرهم بـــذلك، إلا إذا، إلا إذا نعـــم، كيـــف فـــاتني الأمـــر، حســـنًا تريـــدون اللعـــب، لنلعـــب، بعـــد نصـــف ســـاعة كنـــتُ أمـــام هـــديل، لـــم أكـــن قـــادرًا علـــى مشـــاركتها الحـــديث ولـــم تكـــن تنتظـــر مشـــاركتي أساسًـــا فقـــد كانـــت مثـــل المـــذياع تتحـــدث كثيـــرًا، تحـــدثت عـــن السياســـة وآراء الحـــزب الشـــيوعي وكلمـــة رئـــيس حـــزب الأمـــة الأخيـــرة وقـــرارات رئـــيس الجمهوريـــة ثـــم تـــدرجت للرياضـــة وموســـم التـــنقلات وأن ريال مدريـــد يحتـــاج لاعبًـــا وســـطًا وبرشـــلونة لـــيس فـــي حاجـــة لحـــارس مرمـــى وعـــن الـــدوريات الأميركيـــة لكـــرة الســـلة، اندهشـــتُ مـــرة أخـــرى مـــاذا تعمـــل هـــذه الفتـــاة، تحـــدثت عـــن الحروبـــات فـــي العـــالم والمقاومـــة

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الفلسطينية ثم أخذت تشرح قضية فلسطين على أنها قضية إسلامية قبل كل شيء، كانت هناك مَرارة واضحة في صوتها حتى ظننتُ أنها تحملُ الجنسية الفلسطينية! بقيتُ أُحدِقُ بعينيها غير مكترث بالسهام المنطلقة منهما، فلتصيبني أينما أرادت فمجرد النظر إليها أشعر بطمأنينة غريبة وهذا ما أحتاجه الآن، فليذهب المكتب والعمل إلى الجحيم هي فتاة تجعلك تتخلى عن كل شيء خلفك وتمضي معها، لا يهم إلى أين، يكفي أن تكون هي معك، أحاسيس غريبة تنتابني، الشعور بالدفء بجانب شخص غريب كان شعورًا دخيلًا لشخص لم يعهد سوى الشعور بالخطر،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

منـــذ أن بـــدأتُ هـــذا العمـــل وجســـدي لا يحتضـــنُ ســـوى الرصاصـــات، أمـــا يحـــقُ لنـــا أن نعشـــق ونُعشـــق؟ يـــأمرني بـــأن أكـــون أمامـــه خـــلال نصـــف ســـاعة ثـــم يغلـــق الخـــط فـــي وجهـــي، إننـــي هنـــا علـــى الشـــاطيء مـــع فتـــاة جميلـــة، تعـــال وخـــذني إن أردت، لـــم ننتبـــه كلانـــا للوقـــت، كانـــت هـــي منخرطـــة فـــي الحـــديث حـــول العـــالم وكنـــتُ مشـــغولًا بتأملهـــا، تصـــبح عقـــارب الســـاعة كالريـــاح عنـــدما يكـــون المـــرء بضـــيافة مـــن يُحـــب، هـــل أحبهـــا؟ لا أدري، أعتقـــد ذلـــك ولكـــن مـــازال الوقـــت بـــاكرًا لقـــول هـــذا، الثانيـــة عشـــر صـــباحًا وجـــدتني أمـــام القصـــر الجمهـــوري متجهًـــا نحـــو أحيـــاء بُـــري، فتحـــتُ هـــاتفي ووجدتُ رسالة نصية

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

تنتظرني من العميد

_"حتى الثالثة صباحًا سأنتظرك في المكتب، وإن لم تأتِ فأعلم أنك ستأتي صباحًا لأخذ أغراضك كما تعتقد وحينها سأنسى كل توصيات الوزارة بشأنك وأتعامل معك بنفسي وكما تستحق".

الرجل يهددني علنًا يبدو أنه مجنونًا، حسنًا سيكون في الأمر متعة من نوعٍ ما فالعمل مع المجانين غاية في المتعة، لنذهب ونرى ماذا يريد، وصلتُ المكتب في أول نصف ساعة من اليوم، الوقتُ منتصف الليل لا بل بعده، أقسم أننا لو كنا نخطط لقتل الرئيس لِما اجتمعنا في هكذا توقيت.

_تحياتي حضرة العميد.

_أين كنت؟

_أولاً علي إخبارك وأعلم أنك تعلم ولكن يبدو أنك لم تفهم، إنني يا حضرة العميد.

_استقلتْ.

_قلت لك، أنت تعلم، حسنًا هل يمكنني أن أعرف لِم تطاردونني.

_اجلس.

ذات المكتب الذي قضيتُ سنتانٍ من عمري أدخل وأخرج منه، اذهب يا أحمد وحل هذه القضية، تعال يا أحمد وافعل هذا، هيا يا أحمد فريقك ينتظرك، كأنه لم يكن هناك أحد غيري، جلستُ على المقعد الخشبي وقد كان ذاك أفضل شيء في هذا المكتب البائس، لقد أُستُبدِلت

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

شهادات العميد السابق وصوره بشهادات هذا الرجل أمامي، شخصٌ ممتلئ ذو شارب ولحية، أصلع الرأس لديه حاجبان منفصلان يظللان عينين بيضاوتين، وجهه باهت كهذه الأيام، ملامحه سوداء، لو ابتسم سيكون أكثر جمالاً بهذه الملامح.

_حسنًا، ما الأمر؟

_لا تستغل حب الوزير لك، هنا لا أحد فوقي.

_أرى أنك تهددني كثيرًا ولكن هذا ليس ما يشغل بالي، هل يمكنك إخباري من أين علِمت بأمر المقبرة هذا؟

ارتسمت ضحكة خبيثة على محياه، أسند ظهره للوراء ورمى القلم الذي كان يعبث به

ثم قال بنبرة مستهزئة:

_ماذا تعتقد أننا نفعل هنا؟ إنني أعلم كل شيء عنك حتى فتاة الشوارع تلك التي كنت معها قبل قليل.

لم أستغرب كثيرًا صراحة إننا برئاسة فرع الجريمة لا شيء يُخفى علينا، لا شيء يُخفى عليهم، حسنًا لنفترض أنني استقِلتُ.

_تلك الفتاة لديها اسم.

_هديل أحمد عبدالرحمن مراهقة عاشت كل عمرها بين الشوارع والأرصفة، تدرس القانون بكلية كرري، تذهب كورسات اللغة الفرنسية والألمانية كل أثنين وخميس، تسكن مع صديقاتها في إحدى الشقق بِبَانت، ليس لديها أحد،

توفيَ أبواها عندما كانت طفلة ولم يتركوا

_لا أظنك استدعيتني هنا للتحدث حول هديل، صحيح؟

_نعم، أولاً اللغز الذي تجده في منزلك كل ليلة، سنعود له لاحقًا.

_بالتأكيد، ويمكنكم ألا تعودوا له أبدًا، يبدو أنكم مشتركون في الأمر.

_انتبه لكلماتك.

قلتُ وأنا أضرب طاولة المكتب بيدي:

_لم يكن هناك أحد في المقبرة سوى ثلاثة أشخاص، أنا ومتأكد أنني لم أخبركم حول هذا الأمر، شخص يريد ارتكاب جريمة وأعلم أنه ليس غبيًا

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ليُبلِّـغ عـن نفســه، شـخص سـيُقتل ولـو كـان يعلـم أنــه سـيُقتل لفضَّـل عـدم الخـروج مـن منزلـــه بــدلًا أن يــأتي ويخبــركم ثــم يــذهب للمـــوت برجليـــه، أخبرنـــي حضــرة العميــد مَن أينَ علِمتُم؟

_إهدأ أولًا.

_أولًا لــن أهــدأ، ثانيًــا أنــا لا أعمــل تحــت إمرتـــك لتعطينـــي أوامـــر حـــول أي شـــيء كــان، ثالثًــا والأهــم تلــك الفتــاة إن رأيــتُ أحــدًا مــنكم حولهــا أُقســم أننــي ســأجردك مــن هذه البدلة وتعلم أنني سأفعل.

نهضـــتُ وأردتُ الـــذهاب ومـــا أن وضـــعتُ يدي حول مقبض الباب سمعته يقول:

_لقد كنتُ هناك.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

التفتُ إليه دون أن أقول شيئًا وظللتُ واقفًا انتظرهُ.

_كنتُ في المقبرة في ذلك الوقت، تعلم أنه ليس من الصعب علينا العثور عليك، ذهبتُ وبقيتُ في الاتجاه المقابل، لم يخبرني أحد، رأيتُ كل شيء بعيناي.

_ماذا تريد، لماذا تتبعني؟

_اجلس لأشرح لك ولا تتجرأ مرة أخرى وتهددني وإلا ستندم.

جلستُ على مضض، أعلم أنه لا خلاص منهم.

_لقد قُتل ابن أحد الشخصيات الكبار في الدولة.

_نعم وتريدونني أن أركض خلف الأمر حتى أُحضره لكم في طبق من ذهب، سيكون قتله أحد أصدقائه بينما كانوا يثملون أو في حفلة يتعاطون المخدرات

وفي كل الحالات يستحق أن يموت، أبناء الشخصيات الهامة التي تقول عنها هذه هم مَن يعيثون الفساد في هذه الأرض، يقيمون حفلات خارج قانون البلاد وقانون الأديان، يتعاطون المخدرات علنًا ويروجونها، يبيعون العملة، يزنون، يقتلون، يسرقون، وعندما نقوم بعملنا معهم يقولون لنا ألا تعلمون مَن نحن؟ أخبرني هل قُتل معه صديقه أو صديقته، هل كانوا في شقة أم فندق أم كان حادثًا؟

_أنت تعلم كل شيء.

_ توقعتُ، هل فتاة؟

_نعم، وأيضًا هؤلاء الذين تتحدث عنهم هم مَن يديرون هذه الدولة، هم الذين يملكون المال الذي تصرفه أنت.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_الأمر يا حضرة العميد أشبه بتصدير القطن لدول الخارج ثم يعيدونه لنا في شكل ملابس نرتديها مقابل ثمن أكثر من ثمن القطن، إن كان هناك أحد يملك المال في هذه الدولة فهذا يعني أنه مال الدولة، لم يولد معه من رِحم والدته وأولئك يسرقون مالنا مقابل القليل منه ثمن سكوتنا، أنت تعلم هذا أفضل مني، دعك من هذا الأمر، سأتولى هذه القضية ولكن بشرط.

_لِنرَ.

_لن أعمل تحت إمرة أحد، سأختار فريقي بنفسي، ولستُ ملزمًا بالمرور بالمكتب.

_اتفقنا ولكن لن يكون لديك فريق فهذه القضية سرية للغاية،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

سيكون عليك العمل وحدك والتواصل معي مباشرة.

_حسنًا، ما الأمر؟

_لا يوجـد شـيء نعرفـه، فقـط عثـروا علـيهم مقتولين في إحدى الشقق الخاصة بالشاب.

_إن كنـتم تعلمـون لِمـا أصـررتم علـيَّ، غـدًا صـباحًا سـنرى هـذا الأمـر، هـل يمكننـي الذهاب الآن؟

_نعم، حضرة النقيب.

_يبـدو أنـك لـم تقـرأ ملفـي جيـدًا، رتبتـي ملازم أول، لستُ نقيبًا.

_أعلـم، أعلـم انسـى الأمـر، هيـا اعـتنِ بنفسـك، وأجـل إن احتجـت لشـيء فيمـا يخـص موضـوع الألغاز ذاك لا تنسى أنني هنا.

_لا أعتقد ولكن حسنًا.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

في الصباح توجهتُ لمكان الحادث، شقة فخمة في أحياء كافوري ببحري، كل شيء هنا يدل على الترف الباذخ والإسراف في الإنفاق، الغرفة كما هي لم يُلمس شيء منها، على الفراش كانوا يستلقون تلوح أياديهم تلويحة الوداع، الملاءة المخملية أصبحت حمراء بلون الدم بعد أن كانت ناصعة البياض، تلك الوسادة تلقت عدة طعنات عوضًا عن صاحبها، لقد قُتِلوا بطريقة بشعة جدًا، يبدو أن الغضب كان يسيطر عليه أكثر من أي إحساس آخر، أظنها قضية انتقام من نوع ما، وبما أن الفتاة أيضًا أخذت حقها فيبدو أن للحب دورًا كبيرًا في هذه المسرحية، على كل حال هي مسرحية

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

سيئة جدًا، جلستُ على مقعدٍ وحيد على الزاوية، نظرتُ إلى الفراش ورأيت عبر مخيلتي الجثث التي كانت هنا تمارس الحب حتى بعد الحياة الدنيا، ماتوا وهم يحتضنون بعضهم، لم تكن قصة حب اسطورية، هي مجرد عاهرة لقيت حتفها حينما كانت تمارس ما كانت تراهُ أنه عملها، هل هي شهيدة واجب؟

_أنت لن تكف عن السؤال عن أشياء لا تعنيك أليس كذلك؟

_حسنًا سأسأل أشياء تعنيني، لماذا قُتِلوا؟

_أجل لماذا قُتِلوا؟

_أنا أسألك ألستَ الجزء الواعي والمنطقي بداخلي،

إذًا يجب أن تمتلك أجوبة لكل شيء ومفتاحًا لكل قفل.

_كيف سأعلم وأنت تجلس هنا تفكر في أشياء لا دخل لها بالقضية؟

_إذًا دعننا نقوم بعملنا، هيا.

هذا ما يسمى بمرحلة ما تحت الصفر، لا يوجد صفر هنا لأبدأ منه، لا علامة ولا مؤشر ولا طرف خيط، شخصان ماتا في وقتٍ لم يكن فيه أحد مستيقظًا ولا حتى الشيطان نفسه، الله وحده يعلم ماذا حدث هنا، الأمر يروقني كثيرًا، أن أبدأ من مكان لا يستطيع أن يبدأ منه أحد سواي، أن أرافق المستحيل للبحث والخوض في أشياء أكثر استحالة! فتشتُ الغرفة جيدًا، لا شيء مهم، بعض الأوراق النقدية

تختلف فئاتها من دولار وريال وجنيه سوداني وعملة مصرية، الأمر ليس سرقة إذًا، بعض الهواتف الغير مستعملة على الدرج بجانب السرير، لنرَّ ماذا لدينا في الاتجاه الآخر، شيء ما تحت السرير علق تحت حِذائي، كرة مطاطية صغيرة جميلة الشكل، شيء مناسب للتسلية أحيانًا بأوقات الفراغ واستشعار الطفولة رفعتها ووجهتها للأرض مرة أخرى، اصطدمت بها وعادت إلى يدي بكل دقة، وضعتها بجيبي وواصلتُ بحثي، لا يوجد شيء، ذهبتُ إلى المنزل، مضى وقت طويل وأنا لم أمكث بمنزلي نهارًا، هي يومان فقط ولكنها عدت كسنتان، أيام طويلة وثقيلة تمتلىء رهبةً ورُعبًا، يفقد

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الناس حياتهم بين دقيقة وأخرى، وبعضهم حياتهم على الحافة ونحن وسط هؤلاء وأولئك نحاول ردع هذا ومنع ذاك دون أن نجد وقتًا كافيًا لالتقاط أنفاسنا، وجدتُ والدي في غرفة المكتب يطالع بعض الكُتُب، ذهبت للمطبخ أحضرتُ لنا إفطارًا وجئتهُ، تبادلنا بعض الكلمات وغاص كل منا في عقله ثم خلدتُ لنوم عميق بعد ذلك، استيقظتُ في حوالي الرابعة عصرًا، بدلتُ ثيابي ثم خرجت لمنزل أهل الضحية، لم يكن منزلًا هذه بقعة من الجنة أظنها هبطت مع آدم عليه السلام أو قصرًا لإمبراطور روماني، ثلاث طوابق يسكنها شخصان مع ابنهم الذي لم يعد موجودًا، اللون

الأبيض يطغى على كل شيء هنا، على جدران القصر وبين أزهار الحديقة الممتدة أمامي كامتداد السوء في هذه الأيام، نوافذ كثيرة تجعل الأكسجين يقف حائرًا ليختار عبر أيهما سيدخل؟ وجدتُ رجلًا عجوزًا وسط الحديقة يهتم بالنباتات، سألتُه عن أهل المنزل فأخبرني أن السيد خرج منذ الصباح ولم يعد بعد، السيدة لم تخرج منذ الأمس، حسنًا هذا جيد نوعًا ما، سألتقي بكل منهما منفردًا، رفضت أن تقابلني حتى أخبرتها أنني لستُ من رجال الشرطة.

_كيف حالك سيدتي؟ طلبتُ من طارق أن يعرفني عليك كثيرًا لكن لم أجد وقتًا بسبب العمل.

_هل أنت صديقه؟

_نعم، كنا نعمل سويًا.

_هل كنت تعرف تلك الفتاة؟

مـــاذا يحـــدث هنـــا، تبـــدلت الأدوار، إنهـــا تسأل بدلًا عني.

_الحقيقـــة يـــا ســـيدتي هـــذه الفتـــاة بالتحديـــد لم أكن أعرفها.

_إذًا أنت لست صديقه، من أنت؟

_لـم يكـن طـارق يخبرنـي كثيـرًا عـن حياتـه، كـان يركز على العمل فقط، هو كتوم جدًا.

_اه نعـــم، كتومًـــا لحـــد بعيـــد ولكننـــي علمـــتُ عن تلك الفتاة وحذرته ألا يلتقيها.

_لماذا؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_كل شخص يقترب منها يُقتل أظنه أحد مهووس بها.

_هل لأنه مهووس بها يقوم بقتل الناس واحدًا تلو الآخر؟

_ألم تقرأ قبل شهرين عن جريمة مشابهة؟ شاب وُجد بغرفة أحد الفنادق ميتًا.

_نعم، نعم، قرأتُ عنها في الصحف ولكن لدي صديق كان يهتم بتلك القضية قال إنه مات متأثرًا بالتسمم.

_اه أولئك لا يعرفون شيئًا، كانت هذه نفس الفتاة، قام ذلك الشخص المجنون بها بتسميم ذلك الرجل ثم أخذ الفتاة معه رجال الشرطة أولئك لا يعلمون شيئًا.

_أنتِ تعلمين الكثير.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لم أكن أدع طارق يفعل ما يشاء دون مراقبة فهو ابني الوحيد، وعندما عِلِمتُ بعلاقته مع هذه الفتاة بحثتُ خلفها وحذرته منها.

_ولكن هذه المرة الفتاة نفسها قُتلت!

_هذا هو الجانب الجيد في الأمر، كان ابني آخر شخص يُقتل بسبب تلك العاهرة، لن يموت أحدًا بعد الآن.

كل هذا الحديث لا يفيدني بشيء، فيه ما يفيد نوعًا ما، على الأقل تعرفتُ على تلك الفتاة وعرفتُ مَن هي، ليست مجرد عاهرة هي وسيلة وأداة للقتل يستخدمها شخص فقد عقله بسبب الحب فظل خلفها ينهي حياة كل مَن اقترب منها، وربما تكون هذه الرواية خاطئة ولكن

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

اريد شيئًا أبدأ منه، حتى الآن انا لا أملك أي شيء، ليس لدي ما أفعله عندما أخرج من هنا، لا أملك طرف خيط أسحبه ليأتيني بعُنق القاتل، عليَّ أن أسأل هذه المرأة ما اريد معرفته دون أن أثير شكوكها أو ربما يتوجب علي مواجهتها بطريقة مباشرة، نحن نعمل لأجلهم وهم يقولون في أعيننا أن رجال الشرطة لا يعلمون شيئًا، هل نحن نرقص هنا؟

_سيدتي، أريد أن أعرف شيئًا، هل كان لدى طارق أي أعداء او مشكلة مع شخص في الأيام الأخيرة؟

_لا، لم يكن لأحد أن يعاديه فهو طيب جدًا، كل شخص يحبه، أنت تعلم هذا.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_أنا لا أعلم شيئًا سيدتي، وما يجب عليك معرفته هو انني لست صديقه، إنني رجل تحرٍ أعمل على قضية ابنك، أنا أحد رجال الشرطة أولئك الذين قلتِ عنهم أنهم لا يعرفون شيئًا والآن أخبريني كيف سنعرف إن كنتم تروننا بهذا السوء ولا تخبروننا بعض الحقائق التي نسعى خلفها؟ هل رجل الشرطة لديه اختلاف في عقله وبُنيته لدرجة أن يكون عالمًا بكل تفصيلة دون الخوض فيها؟ نحن يا سيدتي أُناس عاديون نسعى خلف الحقائق والأقوال، نركض خلف كلمة واحدة فربما تأخذنا لِما نبحث عنه ولكن لن ينجح الأمر حينما يغلق كل شخص بابه أمامنا، ماذا سنفعل حينها؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

سنعود أدراجنا ونجلس خلف مكاتبنا بكل هدوء ونكون فعلًا أولئك الذين لا يعلمون شيئًا، إن أردتِ إخباري فسأكون ممتنًا جدًا وإن لم ترغبي بذلك فلكِ الخيار.

ظلت تنظر بوجهي وكأنها تريد افتراسه، نظراتها تقول لي أنها لم ترَ رجل شرطة من هذا الدُنو منها، ملامحها هادئة نوعًا ما، عيناها جميلتان كجمال وجهها المُنافي لعمرها الذي جاوز الأربعين، ظلت تحافظ على جمالها رغم هذه السنين الطويلة، سألتُ نفسي لماذا توقفت على ابن وحيد بينما كان بإمكانها ملء هذا القصر بالأطفال كما يمتلئ بالترف والوسائد، سمعتُ ذلك الصوت بداخلي: هذا لا يعنيك، عدّلت جلستها

ومالت للأمام قليلًا، رفعت يدها واضعة إصبعها عند صِدغها وتميل إليه برأسها قليلًا ومازالت تُقلِّب نظراتها فيَّ، هادئة ساكنة كأنها افتقدت القدرة على الكلام والحركة، قالت بعد صمتٍ مريب:

_ما اسمك؟

_أحمد.

_لقد كان طارق يشبهك كثيرًا، كانت لديه أساليبه في الحصول على ما أراده وإن لم ينجح جاء من آخر الأمر مُخرِجًا كل ما بعقله وقلبه، كان يستخدم اسلوب الشرح والتبرير ولماذا هذا ولماذا ذلك، كما فعلت أنت، أحيانًا أجِدُني مخطئة في بعض الأشياء ولا أدرك هذا إلا بعد أن يُحدثني بمثل هذه الطريقة، يظل المرء

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

يصدق الأشياء التي يراها من زاويته ويؤمن بها حتى يأتيه شخص ويعرِّفه على زواياها الأخرى فتضجُ دواخله وتنقسم لجزئين؛ جزء أراد البقاء مصدقًا ومؤمنًا بالفكرة الأولى وجزء أراد تكذيبها والنظر من زاوية مختلفة، الأمر أشبه بالتواجد بين الاعتقاد والظن وكلاهما لا يفضيان لنتيجة، كنتُ أؤمن بأن رجال الشرطة لا يليقون بتلك المهام ولكن الآن بعد أن سألتني كيف سيفعلون إذا كنا نغلق أبوابنا في وجوههم رأيتُ أن الأشياء قد تتغير إن قمنا نحن بفعل ما يتوجب علينا في مساعدتهم، أعتقد أنهم سينجحون في مهامهم، وجزء مني يريد البقاء مع الفكرة الأولى

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وهي أنكم لستم أهلًا لفعل شيء.

_كما أخبرتك سيدتي، الخيار لك إن أردت مساعدتي أو لا، اختاري إن كنتِ تريدين البقاء بين الظن والاعتقاد أو المضي قُدمًا لنجد مع بعضنا قاتل ابنك ولأثبت لكِ أننا أهلًا لكل شيء عندما نجد القبول قبل الدعم، يستطيع المرء فعل كل شيء مهما بلغت صعوبته إن وجد الدعم المناسب في التوقيت المناسب.

_ماذا لديك؟

_لا شيء، لا شيء إطلاقًا، ذهبتُ لمكان الحادث ولكن لم أجد فيه ما يثير الريبة، أشعر أنني مُقيَّد لا أستطيع التحرك ولا أعلم إلى أين سأمضي، أعطوني صندوقًا صغيرًا لا علامات عليه ولا ماركات

وطلبوا مني أن أجد مَن صنعه وماذا يوجد بداخله وكيف جاء إلى هنا وكيف يفتح، الأمر هكذا صندوق مغلق لا أفهم شيئًا فيه، الفهم يا سيدتي مكامن الحلول لن تفلح بفعل شيء إن لم تفهمه.

_لم يمنحوك هذا الصندوق إلا لأنهم يثقون بقدراتك، أعلم أن زوجي لن يترك هذا الأمر وإن لزِم سيتحدث مع الرئاسة لأجل ذلك، وبما أن اختيارهم وقع عليك فهذا يعني أنك تستطيع فعل هذا، يظل الإنسان متخوفًا من كل شيء حتى يأتيه شخص ويخبره أنه يستطيع فعله فيفعله بكل سهولة ويُسر، نحن نحتاج الثقة أكثر من الإرشاد والنُصح، يستمد الإنسان ثقته بنفسه من ثقة الآخرين به.

ذكرتني كلماتها هذه بأمي، قضت كل سنينها تشجعني كلما ضعفت قواي وتحثني على الوقوف كلما أحنيتُ ظهري، لقد كانت بجانبي دائمًا في مثل هذه الأوقات!

_سأفعل، إنني أثق بهذا ولكنني متأخر جدًا، إن كان لديك أي شيء يساعدني فسأكون مسرورًا.

_قبل يومين جاء طارق للمنزل مبكرًا بعض الشيء وبين الحديث ذكر أن شخص بالعمل يضايقه كثيرًا، لم أُرِد إخبارك بهذا سابقًا لأنني اعتقدت أن ذلك الشخص قد يكون أنت لأنك قلت أنك صديقه.

_اه نعم، نعم، ألم يخبرك بأي تفاصيل؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

مَــن هــذا الشــخص أو مــاذا فعـل لــه، أعنــي ما السبب الذي جعله يضايقه؟

_لا أعلــم فقــد قلــت لــك أنــه كتــوم جــدًا، لا يخبرني بأي شيء يتعلق بالعمل.

_ألا تعلمــين شــيئًا ســوى أنــه ذاهــب للعمــل وعائد منه؟

_بالضبط.

_ولكنك قلت قبل قليل أنك تراقبيه.

_لا يوجد شيء أكثر مما أخبرتك به.

_أين كان يعمل؟

_مع والده في الشركة.

_حسنًا، ربما علي الذهاب الآن.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لا تُخيِّب ظني، أثبت لي أن رجال الشرطة ليسوا كما أراهم.

_سأفعل ما بوسعي سيدتي، طاب يومك!

خرجتُ كما دخلتُ دون أن أكتسب شيئًا ملموسًا أهتدي به، هذه الوالدة، لنرى ماذا لدى الوالد، كان الابن ووالده يعملان في مجال استيراد القطع الفنية والمنحوتات، لديهم شركة خاصة بهم تهتم بهذه الأشياء وكان الابن مديرًا عامًا عليها ووالده رئيس مجلس الإدارة توقفتُ أمام إحدى الأبنية الشاهقة، رأيتُ هديل تخرج من المبنى، لم أصدق عيناي في باديء الأمر ولكنها هي حقًا، ماذا تفعل هنا؟ نزلتُ واعترضت طريقها، بدت فرِحة لرؤيتي، حيّتني والابتسامة لا

تفــارق محياهــا كمــا كانــت دائمًــا، وســألتني ماذا أفعل هنا؟

_هذا ما أردتُ سؤالك عنه، ماذا تفعلين هنا؟

_لقد وجدتُ وظيفة مؤقتة بهذه الشركة.

_ماذا؟ ماذا تعملين؟

_مترجمــة، لمــاذا بهتــت ملامحــك هكــذا هــل هناك شيء خاطيء؟

_لا، لا، سعدتُ بذلك حقًا!

_لــم تخبرنــي، مــاذا تعمــل هنــا؟ هــل قــدمت لوظيفة أنت أيضًا؟ رائع سنعمل بذات المكان.

_نعم سنعمل بذات المكان ولكن ليس كثيرًا.

_لم أفهم.

_دعكِ، هل نلتقي مساءً؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لماذا ليس الآن؟ دعنا نحتسي شيئًا معًا.

_ربما لاحقًا، عليّ الذهاب الآن.

_حسنًا.

مكاتب الادارة المتمثلة في المدير العام ورئيس مجلس الإدارة كانت بالدور العلوي أخبرتني سكرتيرته أنه ينتظرني، لا أتساءل عن كيفية علمه بقدومي فهؤلاء يعلمون كل شيء، دعاني للجلوس بعد أن تبادلنا التحايا ثم جلست ككل المكاتب العادية لا شيء يدعو للعجب سوى تلك التُحف الأثرية والمنحوتات التي وُزِعَت بشكلٍ راقٍ حول المكتب، نافذة زجاجية عريضة خلف مقعده تُطل على أحد شوارع العاصمة الرئيسية، ضغط على زر هاتفه

بجانــب الطاولــة ثــم طلــب لنــا كوبــان مــن القهوة وسألني مباشرة:

_كيــف أقنعــت زوجتـــي بالتحـــدث إليـــك؟ بحياتهـــا لـــم تقتـــرب مـــن رجـــال الشـــرطة، هي تكرههم جدًا!

_لـــدي طُرُقـــي وأســـاليبي فـــي الحصـــول علـــى المعلومـــة التـــي أريـــدها، وأعـــرف جيـــدًا كيف أجعل الشخص أمامي يتحدث.

_لقـــد تحـــدثوا لـــي عنـــك، ولأعتـــرف لـــك لـــم تكن كما قالوا أبدًا.

_هـــذا انـــا، تتعجـــب عنـــدما تســـمع عنـــي وتتعجـــب عنـــدما ترانـــي، هنـــاك تجـــد الوصـــف وهنـــا تجـــد الحقيقـــة بعينهـــا وغالبًـــا لـــيس كـــل مـــا يقـــال لـــك حقيقـــة، النـــاس تُزيـــد

أو تقلل فيما تقوله وتكون أقوالهم إما صحيحة او خاطئة وهذه الخيارات تشوش العقل لذلك ابحث عما تريده بنفسك دون الالتفات لآراءهم، افعل ما تريده دون أن يؤثر عليك قولهم إن كنت ترى أنك على الطريق الصحيح.

_اعترف انني انبهر، حسنًا أخبرني ماذا تريد أن تعرف؟ اريد ان تجد ذلك السافل الذي أوْدى بحياة ابني.

_سنجده، هل تشك بشخصٍ معين؟

_لا لم يكن لديه أعداء، آخر توقعاتي أن يموت مقتولًا.

_هل تعلم أيُ الأماكن كان يرتادها مؤخرًا؟

_كان يذهب للنادي الرياضي

في المساء يذهب للملاهي أحيانًا تعرف أمور الشباب هذه.

_نعم، نعم، سأستغرب كثيرًا إن لم يذهب إليها.

_نعم؟

_آه، لا لم أقل شيئًا، أخبرني ألا يوجد لديه أي أصدقاء؟ شخص يرافقه دائمًا ويخرج معه.

_لا، لم يكن يختلط بالآخرين.

ما هذا يا رجل هذه الدائرة تزيد ضيقًا كل حين، أُمَنِّي نفسي أن أجد شيئًا وكل ما أجده يزيد الأمر تعقيدًا، استعصت هذه العُقدة عليّ ولكن لابد أن يكون هناك سبيل لحلها، لا يوجد قاتل في هذا الكون بكل ذلك النقاء والذكاء، لابد من وجود

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بقعة تلطخ نقاءه، حتى أذكى القتلة في العالم يتركون خلفهم شيء للتفاخر والغرور، لا يمكنك أن تكون ماهرًا لهذا الحد، كثير من الناس يسقطون بسبب غرورهم وثقتهم المفرطة بذاتهم، وهذا العجوز كزوجته لا يفلحون في شيء سوى قول لا، لا نعلم، لا ندري، لا يتكلم، لا دليل، لا طرف خيط، تبًا لكم هل يترك الإنسان ابنه يسرح ويمرح دون أن يراقبه؟ هل جيد أن تُسأل عن أبسط شيئًا يتعلق بإبنك فتُجيب بلا أدري؟ دعوا هذه الأموال تنفعكم الآن، شخصٌ مستدير الوجه عيناهُ صغيرتان لا تفقهان شيئًا، البلاهة في وجهه أكثر من علامات الجمال التي يفتقدها، ملامحه شاحبة

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

يحـاول إخفاءهـا بتلـك الطريقـة التـي تحـدث بهـا معـي، إنني أملهـم الوحيـد وأنـا نفسـي لا أملـك أمـلًا، نهضـتُ واسـتأذنت، أتـت القهـوة ولكـن خرجـت رغبتـي فيهـا، لنـذهب إلـى مكتـب القتيـل ونعبـث بـه قلـيلًا وأتمنـى أن أخـرج منـه بجديـد، شـخص آخـر الممـر يـذهب فـي الاتجـاه المعـاكس لـي، لا أعلـم لمـاذا أشـعر أننـي لحظـة خروجـي رأيتـه يُقبـل باتجـاهي، هـل كـان قادمًـا وتـذكر شـيئًا عـاد لـه أم أنـه عـاد لأنـه رآنـي؟ عنـدما ركـزتُ معـه مـرة أخـرى كـان قـد هـبط بـالأدراج النازلـة لأسـفل لديـه ندبـة واضـحة فـي الجـزء الأيسـر مـن وجهـه، فتحـتُ البـاب المجـاور للبـاب الـذي خرجـت منـه ودخلـت ثـم أغلقتُـه خلفـي، يبـدو أن

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أحـــدهم عبـــث بالمكتـــب قبلـــي، الأدراج مبعثـــرة وبعضـــها نصـــف مفتوحـــة، الكرســـي الفخـــم أُعيـــد للحـــائط، هـــذهِ الغرفـــة تختلـــف كثيـــرًا عـــن تلـــك التـــي خرجـــتُ منهـــا، كانـــت كشـــقته تضـــجُ بـــالترف، لوحـــات عالميـــة تحتضـــن الحـــائط، صـــورة للقتيـــل مـــع أحـــد أشـــهر لاعبـــي كـــرة القـــدم بالعـــالم، صـــورة أخـــرى وهـــو بمنتصـــف البحـــر علـــى يخـــتٍ فخـــم خلفـــه الكثيـــر مـــن الأشـــخاص، ويـــأتيني والـــده يقـــول أنـــه لـــم يكـــن يحـــب الاخـــتلاط بـــالآخرين عجبًـــا! ســـحبتُ أحـــد الأدراج نظـــرت بداخلـــه أوراق ومســـتندات والكثيـــر مـــن الأقـــلام، لا شـــيء بهـــا يـــدعوني للاهتمـــام، درج آخـــر وآخـــر حتـــى الـــدرج الأخيـــر لـــم أجـــد شـــيئًا، عمـــا كـــان يبحـــث ذلـــك

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الشخص؟ لابد من وجود شيء يُدينه هنا ربما عليّ البحث بتدقيقٍ وتركيزٍ أعلى.

الساعة الثالثة عصرًا وجدتني أمام هديل صافي الذهن مرتاح البال، أُحب هدوئي حينما أكون أمامها، لا تفعل شيئًا بعينه ولكن وجودها فقط يفعل الكثير بي، تُغيِّر وتُعيد ترتيب ما تبعثر بداخلي بمجرد ابتسامة منها هي أكثر من مجرد ابتسامة، هي ابتسامة يستطيع المرء التنازل عن كل شيء لأجل دوامها ورؤيتها، تحدثنا قليلًا عن وظيفتها وكيفية حصولها عليها:

_صديقة لي تعمل بتلك الشركة، أخبرتني أنهم بصدد إجراء صفقة كبيرة مع جهة ألمانية.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_أفهم أن عملك سينتهي بانتهاء هذه الصفقة.

_نعم ولكن سيفيدني قليلًا ويزيد قائمة الجهات التي عملت لأجلها من أجل الخبرة، لم تخبرني ماذا تعمل أنت هناك؟

_لا تريدين أن تعلمي هذا.

_لا بل أرغب بمعرفة كل شيء يخصك.

هذه الفتاة تُشعرني أنها تملك مفاتيح قلبي، تدخله كلما أرادت وتتوهط به كعروسٍ بكامل حُلتها تنتظر أن تُزف للنعيم، النعيم هو ذلك الذي أعيشه عندما أتواجد معها، يمكنني غض بصري عن كل ما هو سواها ولا يستهويني شيء دونها، إن كان هذا هو الحب فأُعلِنُ انني غارقٌ حتى خُصلات شعري، يرغب

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

المــرء باحتضــان تلــك البقعــة التــي تشــعره بالعظمـــة والأمـــان، ولا شـــيء ســـواها فـــي هـــذه الحيـــاة البائســـة يشـــعرني بالحيـــاة، هـــي تعلـــم مكـــامن الفـــرح بـــداخلي فتظـــل تعـــزف عليهـــا بأناملهـــا الرقيقتـــان وتُـــردد أُغنيـــات الحـــب والســـلام بصـــوتها العـــذب الرنـــان، عيناهـــا تُثيـــر رغبتـــي فـــي البقـــاء أمامهـــا دائمًـــا ولا أنـــوي مفارقتهـــا، يطيـــبُ لـــي الجلـــوس حيـــث هـــي وذلـــك البريـــق فـــي مُقلتيهـــا يُشـــعرني أن كـــل مـــا بـــداخلي تضـــجُ بـــه دواخلهـــا أيضًـــا، إن كـــان هـــذا هـــو الحـــب فســـأخبر العـــالم كلـــه وكـــل مجرميـــه وقتَلَتـــه أننـــي اعتزلـــتُ مطـــاردتهم وســـأنشـــغل بمطـــاردة ذلـــك الإحســـاس الـــذي يـــزور قلبـــي فـــي حضـــرتها، بالحـــب وحـــده يحيـــا الإنســـان

وأنا شخص عاش كل عمره يفتقد الحياة.

_حسنًا لنعد لبداية الأمر، إنني فرد من قوات الشرطة، أعمل متحريًا في فرع الجريمة، محقق.

_لا أصدق.

_بلى.

_ولماذا رفضت إخباري عندما سألتك في أول يوم قابلتك فيه؟

_كنت قد قدمتُ استقالتي حينها.

_وما الذي حدث الآن؟

_رفضوها، كالعادة.

_هذه ليست المرة الأولى إذًا.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_نعم.

قصصـــتُ عليهـــا كـــل شـــيء بـــدءًا مـــن قضـــيتي الأولـــى فـــي ريـــف مدينـــة كوســـتي والتـــي أســـميتها حفـــل زفـــاف وأخبرتهـــا أيضًـــا عـــن القضـــايا الأخـــرى وذلـــك اللغـــز وتلـــك الظـــروف البيضـــاء ثـــم الحـــادثتين ثـــم هـــذه الحادثـــة التـــي ربطتنـــي بتلـــك الشـــركة ورئيســـها، كانـــت تســـمعني بإصـــغاء مثيـــر تتبعنـــي نظراتهـــا حتـــى أتلعـــثم فـــي كلمـــاتي، لأول مـــرة أشـــعر بالبلاهـــة فـــي كلمـــاتي أمـــام أحـــد، كانـــت تثيـــر الكثيـــر مـــن المشـــاعر بـــداخلي لـــم أكـــن أعلـــم بوجودهـــا لـــولا عيناهـــا ونظراتهـــا، البريـــق الخـــارج منهمـــا أضـــاء فضـــاء الـــروح لهفـــة ولوعـــة، تـــوارت الشـــمس خلـــف الأُفـــق وحـــل الظـــلام ولكـــن

نورهـــا ظـــل باقيًـــا يتمـــدد فـــي المكـــان كمـــا يتمـــــدد حبهـــــا فـــــي دواخلـــــي، وجههـــــا المســـــتدير مـــــرآة قلبـــــي التـــــي تعكـــــس كـــــل حُســـنٍ وجمـــال احتـــواهُ الكـــون وحملتـــه هـــي برقتهـــا وعـــذوبتها، أوصـــلتُها شـــقتها، حـــين هممـــتُ بفـــتح بـــاب الســـيارة رأيـــتُ شـــبح شـــخصٍ آخـــر الشـــارع، شـــعرتُ بـــأنني أعرفـــه، عُـــدتُ لبيتـــي بـــالخرطوم، فـــي الطريـــق ظللـــتُ أربـــط بـــين أحـــداثٍ وتفاصـــيل مـــا تحصـــلتُ عليـــه حتـــى الآن، تلـــك الأفكـــار الصـــغيرة هـــي التـــي تقـــودني لـــرأس الأمـــر دائمًـــا، تحتـــاجُ فقـــط ذهنًـــا صـــافيًا لترتيبهـــا ولا أعلـــم وقتًـــا يكـــون فيـــه ذهنـــي صـــافيًا إلا بعـــد عـــودتي مـــن لقـــاء هـــديل، تلـــك الكـــرة المطاطيـــة، الغمـــوض الـــذي خلَّفـــه الضـــحية

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

تجاه أسرته، شخص عبث بالمكتب قبلي بلحظات، ذلك الشخص في الممر ربما على لقاءه، ولابد من وجود صديق للقتيل، لا يمكن أن ينشأ شخص وحيدٌ هكذا، الوحدة نفسها قاتلة وهذا الطارق يبدو من النوع الذي يحب المرح والمرح لا يكون مع وِحدة، إنهما كخطين متوازيين لا يلتقيان أبدًا.

في الصباح توجهتُ للشركة مرة أخرى، في مكتبه الخاص كان امامي يتحدث بطريقة دفاعية، هذا الأبله لا يستطيع قتل حشرة ولكن يوجد شيء في رأسه، لقد فعل شيئًا، وجهه صغير ذو عينين ناعستين، أنفه صغير كفمه، يتحدث دون أن تتحرك شفتاه كثيرًا، بهدوء وريبة

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وملامح متحفظة، يجوب بنظره أرجاء غرفته متحاشيًا النظر بوجهي مباشرة؛ يخفي شيئًا ما، يده اليسرى تداعب تلك العنبة على خده الأيسر دون وعي أو إدراك منه، اسمه عصام يعمل هنا منذ ثلاث سنوات، لا علاقة مباشرة تجمعه بالقتيل سوى العمل، يشغل منصبًا في قسم العلاقات.

_بالأمس كنت مُقبلًا باتجاهي، لماذا عدت أدراجك بعد أن رأيتني؟

قال بتلعثم وتحفظ واضح:

_أنا، لا، لا لم أكن مقبلًا، لقد كنت بالجوار فقط وكنت أهم بالنزول.

_ماذا كنت تفعل بالجوار؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

هل كنت تأخذ نزهة على الممر؟

_لا، لا، كنت قادمًا لرؤية المدير فأخبروني أن معه ضيف.

_أثناء ذلك هل عرجت على مكتب طارق؟

صعدت الدماء على وجهه وأصبحت ملامحه أكثر شحوبًا:

_لا أبدًا، لا أذكر أنني فتحتُ ذلك الباب.

_حسنًا، لا تغادر المدينة دون علمنا.

_لماذا؟ أقصدُ هل هناك شيء؟

_لا، لا ولكن حتى تنتهي هذه الفترة، هل كنت تنوي الذهاب لمكان؟

_لا أظن هذا، سألتُ فقط.

_حسنًا.

ما تأكدتُ منه أن الطريقة التي قُتلوا بها لن يجرؤ هذا الرجل على التفكير بها، شخصيته ضعيفة يخشى الاحتمالات والأسئلة، لا يمكنه قتل أحد ولكن لديه ما يربطه بالأمر، سنعلم هذا لاحقًا، أخرجتُ هاتفي واتصلتُ بعماد:

_عماد، أين أنت؟

_أحمد يا رجل، أين أنت لا نراك هذه الفترة؟

_أين أنت؟

_في المكتب، ما الأمر، هل هناك ما

_أنا قادم.

أغلقتُ الهاتف دون أن أزيد كلمة ثم توجهت إليه، ما أراهُ غريبًا هو اختفاء تلك الظروف البيضاء والألغاز، توقعتُ

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أن أجـد لغـزًا جديـدًا ليلـة أمـس والليلـة التـي سـبقتها ولكـن لا يوجـد شـيء، لـم أُشـغل نفسـي بعنـاء البحـث عنهـا فـي أرجـاء المنـزل لأنـي أعلـم أنـه سيضـعها فـي مكـان يسـهل وجودهـا فيـه حتـى دون البحـث عنهـا، فـوق أو خلـف أو أمـام أحـد الأبـواب ولكـن لا يوجـد شـيء سـوى الفـراغ، هـل مـات أم سـافر؟ خيـاران لا ثالـث لهمـا فمثلـه لـن يتخلـى عـن أمـرٍ فـي منتصـفه، إصـراره وعزيمتـه علـى هزيمتـي لـن يسـمحا لـه بـالتراجع، حتمًـا جـرى لـه شـيئًا مـا، بعـد أيـام مـن الغيـاب عـدتُ للمكتـب أخيـرًا ذهبـتُ لمكتـب عمـاد مباشـرة، جلسـتُ أمامـه وعلامـات الدهشـة والاستغراب بادية على وجهه ونظراته

وقبل أن ينطق بشيء قلت له:

_كثير من الوقت مضى ولم نلتقي أليس كذلك؟

_نعـم، وقـت طويـل حقًـا، لـم أراك منـذ أن زُرتني في المنزل.

_نعم صحيح، أخبرني ماذا يحدث معك؟

_كما تعلم، العمل فقط ولا شيء آخر.

_ماذا حدث في قضية تلك المرأة المقتولة؟

_إننـا نُحقـق تقـدمًا فـي تحقيقاتِنـا وبحثِنـا خلـف الأمر، قريبًا سنتمكن من كشف غموضها.

_هل هناك شيء أستطيع فعله؟

قطـب جبينـه بصـورة تـنم عـن الانزعـاج وسرعان ما عاد طبيعيًا:

_لا، لا شيء، علمتُ أنك تتولى ملفًا سريًا.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_لم يصبح سريًا طالما لك علم به، صحيح؟

_نعم، أفترض هذا، حسنًا لدي الكثير من العمل الآن، إن كنت ستبقى فسأمر عليك لاحقًا أيها العبقري.

_نعم، نعم، إنني موجود دائمًا بعد الآن، هيا بالتوفيق.

بعد حينٍ كنتُ أمام العميد نتناول قضية طارق والتفاصيل التي بحوزتي وشاركته أفكاري حولها.

_لا شيء يا سيدي حتى الآن مجرد أفكار صغيرة تتجول بخاطري سأطرحها لك ولكن انظر، لستُ متأكدٌ من شيء منها، بالأول لدينا كرة مطاطية وهذا الشيء الوحيد الذي خرج من مسرح

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الحادث، لا شيء مفيد في أقوال الأم والأب، إنهما لا يعلمان شيئًا وقد فادتني الجدران والأدراج أكثر منهما.

_كيف ذلك؟

_وجدتُ هذا في أحد أدراج مكتبه بالأمس.

وضعتْ أمامه دفتر شيكات يخُصُ القتيل، حملهُ وظل يقلّبهُ بين يديه بتيهٍ وتساؤل:

_لا أجد فيه ما يثير الشكوك.

_نعم هذا صحيح، ما أثار شكوكي ليس موجود فيه الآن.

_المعنى؟

_إقرأ آخر شيك كُتِب وأُنتُزِع من هذا الدفتر.

_أين هو، هل معك؟

_لا، ركز جيدًا على أول ورقة أمامك وحاول قراءة ما كُتِب على الورقة التي كانت هنا قبل نزعها.

_آثار كتابة؟

_بالظبط.

أضاء مصباح هاتفه ثم زَمّ حاجبيه حتى تلاصقا وظل ينظر، رفع رأسه بعد قليل والتقت نظراتنا وقد رأيتُ في عينيه ما كنت أريد إيصاله له ثم قال:

_شيك حر؟

_نعم، هناك توقيع فقط صحيح؟ هذا يعني أنه قدم شيكًا على بياض لأحد الأشخاص ولا أعتقد أنها صفقة عملية.

_بالتأكيد هذا دليل قوي جدًا، هل هناك شيء آخر؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_نعم أريد مراقبة أحدهم، ماذا يفعل وأين وكيف وماذا يلبس وماذا يأكل وكم شهيق وزفير وكم من الأكسجين يستنشق، أريد معرفة كل شيء عنه.

_لك ذلك، شيء آخر؟

_هذه الكرة المطاطية، أريد أن أعلم إن كانت تُباع بأحد الأماكن.

_حسنًا، لا أعتقد أنه يوجد شيء آخر.

_لا، هذا كل شيء.

نهضتُ ذاهبًا بعد أن استأذنتُه ولكنه أوقفني:

_أحمد.

استدرتُ ناحيتهُ وفجأة وجدت ملامحه تبدلت لشيء من الغموض والريبة، نظراته قلِقة بعض الشيء ووجهه

شــاحب نوعًــا مــا بــل ذلــك الشــحوب كــان عليــه منــذ أن رآنــي لحظــة دخــولي قبــل قليــل ولكنــي لــم ألاحــظ أو لعلــي لاحظــتُ ولــم أهتم بالأمر كثيرًا، استطرد يقول:

_بــالأمس بعــد أن أوصــلتَ هــديل لشــقتها، بعــد صــعودها بقليــل قُتِــل حــارس ذلــك المبنــى وتــم اعتقالهــا لأنهــم وجــدوا بصــماتها وبضــع الآثــار التــي تــدينها علــى مسرح الحادث.

_ماذا؟

تــذكرتُ شــبح ذلــك الرجــل واقفًــا آخــر الشارع، تمتمتُ مع نفسي:

_لقد رأيتُهُ هناك.

_مَن هو؟

جلستُ بما تبقى لي من قوة على المقعد الذي نهضتُ منه قبل قليل، أشعرُ بصداع ثقيل على رأسي، بهتت ملامحي وذبلت، جسدي يقترب من الارتجاف تنقصه القوة فقط لفعل ذلك، ضاق صدري وضاقت أنفاسي، الغرفة تبدو مظلمة منعدمة الهواء، لا أحتمل أن يُصيبني شيء في هديل هي الشيء الوحيد الأكثر نقاءً في حياتي، لا يمكن أن تكون هي الفاعلة هذا مفروغ منه ولكن ماذا حملها إلى مكان الحادث، إنه هو كل هذا من تخطيطه ليحطمني، أعاد العميد سؤاله مرة أخرى وأنا بين اليقظة واللاوعي فقدتُ كل قدرتي على التركيز، أريد رؤيتها فقط.

_أين هي الآن؟ أريد رؤيتها.

_في قسم الشرطة يحققون معها، ستبقى الليلة هناك.

_أنت تمزح.

_لا بل بكل جديتي، ماذا سيحل بك إن كنت متهمٌ بجريمة قتل؟ أنت أفضل مَن يعلم هذا.

_ليست هي.

_هذا ما سيكشفه التحقيق.

_أريد رؤيتها الآن وأريد ملف هذه القضية، ستوكلني بها.

_ملف القضية عند عماد الدين، هو مسؤول عنها، أنت لديك قضية أخرى لا تنسى ذلك.

_حسنًا دعه يتولاها

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

عماد لا يُشكك في قدراته، سيحلها متى وكيفما أراد، أثق بهذا، هل يمكنني مقابلتها؟

_نعم بالطبع.

_أستأذنك.

رأيتُها خلف القضبان بجسمها النحيل وكأنني أرى جزءًا مني فوق ألسِنَة اللهب، ملامحها هادئة كأنها متواجدة تحت سقف منزلها وليست داخل زنزانة تواجه تهمة قد تؤدي لموتها أو سجنها مدى الحياة، القوة بداخلها أكبر من أن تهزمها تهمٌ مُلفقة، أقبلت نحوي ما أن رأتني، فتحتُ الباب ودخلتُ عليها، لأول مرة لا أشعر بذلك الإحساس الوردي الذي أحسه كلما ألتقيها، حاولتُ تمالك نفسي وإخفاء ذلك الضعف فيَّ، سألتها

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

عمــا حــدث، أجابــت وصــوتها تملــؤه الثقــة والإطمئنان:

_بعــد أن صــعدتُ للأعلــى وبقيــتُ مــا يقــارب العشــرة دقــائق أتتنــي زميلــة لــي فــي السـكن تــركض لاهثــة وتتفــوه بكلمــات متقطعــة غيــر مفهومــة وبعــد أن هــدأتها أخبرتنــي أن الحــارس فــي الأســفل قــد قُتِــل، نزلنــا معا.

_ألم يكن هناك أحد غيركن؟

_جميع الفتيات كُنّ نائمات!

_أكملي.

_نزلــتُ معهــا وذهبنــا إلــى غرفتــه عنــد مــدخل البنــاء، وجدتُــه علــى كرســيه وقــد ذُبِــح عُنقــهُ، كانــت الــدماء تســيلُ علــى

جسده كأنها نافورة كُسِرت حين غفلة فأصبحت مياهها تنثر نفسها هنا وهناك، وضعتُ يدي حول معصمه وإن كنتُ أعلم أنه توفي ولكن أردتُ التأكد، في ذلك الوقت لم تكن تلك الفتاة معي، طلبتُ منها أن تُبلِّغ عما حدث وحينما لم يأتيني صوتها التفتُ خلفي ولم أجدها، صعدتُ للأعلى ولم أجدها أيضًا وعندما أيقظتُ بقية الفتيات أخبرنني أن لا فتاة غيرهُنّ هنا.

_ماذا يعني هذا؟

_لم تكن تسكن معنا، جاءت من الخارج وذهبت.

_أتت لتُخبرك أنتِ تحديدًا أن بالأسفل رجل مقتول؟

_نعم، أرادت أن تجرني لمكان الحادث!

_وقد فعلَت!

_نعم، فعلَت!

_ماذا حدث بعد ذلك؟

_اتصلتُ بالشرطة وقدمتُ بلاغًا، جاءوا وفعلوا ما عليهم ثم أخذوا الجثة وغادر جزء منهم وظل الجزء الآخر يتفحص الموقع ويأخذون إفاداتنا وقد كنتُ محط الأنظار لأنني آخر شخص رآه عندما كان حيًا وأول شخص رآه بعدما قُتل، وطبعًا لم يُصدِّقني أحد حينما قلتُ أن فتاة استدعتني.

_أنتِ لا تعلمين الاسلوب والطريقة التي يتخذونها هنا في التحريات ولا تودين أن تعلمي، سأخرجك من هنا قريبًا أعدك، ما

أريده منك هو أن تظلي على إفادتك الأولى نفسها، سيأتيك أكثر من شخص بذات الأسئلة، دعي إجابتك تكون واحدة مع كل شخص.

_لا يوجد ما يدعوني لتغيير أقوالي فهذه الحقيقة كما هي، إن لم تُسعِفني فلا أحزن إن بقيتُ هنا بقية حياتي لأنني لم أكذب.

وضعتُ يدي فوق يدها ولأول مرة تلاقت يدانا بمثل هذه الطريقة ثم قلتُ:

_لن تبقي هنا، سآتي.

شدت على يدي دون أن تنطق، ظلت تنظر بداخل عيني كأنها تريد إشباع نظرها منهما! خرجتُ وندهتُ لأحد الزملاء ليأتي ويغلق الباب، لم أستطع

أن أغلقـــه وهـــي بداخلـــه، أعلـــم أنهـــا بريئـــة ولكـــن أحتـــاج دلـــيلًا ملموسًـــا، أحيانًـــا يكـــون المـــرء متأكـــدًا مـــن أمـــرٍ مـــا ولكـــن لـــن يســـتطيع إثباتـــه للآخـــرين، كـــل دواخلـــه تقـــول شـــيئًا واحـــدًا والعـــالم يقـــول شـــيئًا آخـــر ســـيتطلب الأمـــر بعـــض الإثباتـــات والأدلـــة، لا أعلـــم الكيفيـــة ولكـــن أعلـــم أننـــي ســـأهدمُ الكـــون بأكملـــه وآتـــي بـــدليل براءتهـــا مـــن تحـــت الرُكـــام، عُـــدتُ للمكتـــب وذهبـــتُ لمقابلـــة عمـــاد، لـــم أجـــده هنـــاك وبقيـــتُ أنتظـــره حتـــى يئِسَـــت الشـــمس وغرُبـــت، الظـــلام أخـــذ يفـــرض نفســـه بفعـــل الليـــل، الصـــمت والهـــدوء يُخيمـــان علـــى الطُرُقـــات، أخبرنـــي عبـــر الهـــاتف أنـــه ســـيعود، كـــان هـــذا قبـــل سِـــت ســـاعات، التاســـعة مســـاءً

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

بتوقيت الإنتظار ولم يُظهِر نفسه بعد، توسلني جسدي أن أذهب به إلى البيت لينال قسطًا من الراحة ولكن قلبي يرفض التحرك من مكانه، لا راحة لي وهي في ذلك المكان القذِر، مثلها لا يجب أن تتواجد هنا، الكثير من الأبرياء يتعفنون بالداخل والمذنبون الحقيقيون يتجولون في الخارج بحريتهم، ألأجل هذا انضممتُ لسلك الشرطة؟ لأرى الفتاة الوحيدة التي أحببتها متواجدة خلف القضبان بسببي؟ بسببي نعم فأنا أعلم أن كل هذا مسرحية دسمة أُتقِنَت تأديتها، مجرد لعبة قذرة لإسقاطي ولكن قل لذلك الذي ينتظر سقوطنا أننا كالأشجار، نموت عطشًا ولكن لن ننحني لجرعة

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ماء، ستجف أوراقنا وتتساقط وتتصدع جذورنا ولكن يُدركنا الموت ونحن في قمة شموخنا، وقوفنا أطول من نهر النيل أيها البؤساء، جلستُ في المكتب في إنتظار عماد حتى صباح اليوم التالي وما إن جاء مكتبه حتى وجدني أمامه، لم أُشعره بشيء، فقط سألتُهُ عن القضية وعن إذا كان هناك تطور بها، أخبرني أن كل الأدلة ضد هديل، شعرتُ برغبة في لكمه! خرجتُ من عنده وتوجهتُ للشركة لمقابلة والد طارق ولكن شيئًا ما منعني من الدخول، بقيتُ بسيارتي أمام بوابة الشركة، لا أفكر في شيء وأفكر في كل شيء، كانت هديل تشغل كل تفكيري، قطع حبل أفكاري سيارة مالك

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الشـــركة وهـــي تقـــف عنـــد المـــدخل، نـــزل السـائق منهـا وظـل واقفًـا، سـيارة أخـرى وقفـت بجانـب سـيارتي، التظليـلُ فيهـا لـم يـدعني أرى مَـن بـداخلها، لفـتَ انتباهي أن مَـن بـداخلها لـم ينـزل هـو الآخـر، جلـس ينتظـر مثلـي ولكـن مـا الـذي ينتظـره؟ رفعـت أعيُنـي فرأيـتُ والـد طـارق يخـرج مـن الشـركة، ركِـبَ سـيارته وانطلـق، السـيارة بجـانبي ذهبَـت خلفـه أيضًـا، فـي الأمـر شـيء مـا، ذهبـتُ خلفهـم لأرى آخـر هـذه المطـاردة، كـان والـد طـارق متجهًـا نحـو مدينـة بحـري ومـن هنـاك اسـتغل كبـري شـمبات للعبـور للضـفة الغربيـة حيـث أم درمـان، توقـف بجانـب الطريـق وتوقفـت السـيارة التـي تلاحقـه، واصـلتُ

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

قيادتي حتى تخطيتُهم وتوقفتُ في الأمام على بُعدِ أمتار منهم ورُحتُ أراقبُ بمرآتي، اندهشتُ كثيرًا عندما رأيتُ ستيفن بوليس يتَرّجل من السيارة الأخرى ليركب في سيارة والد طارق، بوليس هو أحد أشهر القَتَلة المأجورين الذين ينشطون في الخرطوم، شخص والده جنوب سوداني وأمه نيجيرية، كُنا قد قبضنا عليه قبل عامين بتهمة القتل ولكن أُطلق سراحه لعدم اكتمال الأدلة، ماذا يعني وجوده مع والد طارق؟ أيكون هذا الرجل قد قتل ابنه؟ وردتني مكالمة من العميد أخبرني أن أمُر عليه في المكتب، نزل بوليس من السيارة وعاد إلى سيارته وعاد أدراجه، تقدمت سيارة

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

والد طارق نحوي حتى تخطتني، عُدتُ من هناك إلى المكتب وقد منحتني الصُدفة أكثر من خيط أو نقطة بداية للانطلاق، توجهتُ مباشرة لمكتب العميد، قال:

_تلك الكرة المطاطية متوفرة في السوق بكثرة ويصعب تتبُعها، وذلك الرجل الذي طلبتَ مراقبته لم نجد حوله ما يُثير الريبة سوى أنه حصل على مبلغ طائل قبل ثلاثة أيام وادعى أنها ورثة أتته من جدته.

قلت له: ألا تشك بشيء؟

_لم أنسى أمر ذلك الشيك، قد تكون هذه الأموال قد سُحبت من حساب طارق بناءً على ذلك الشيك، نحن نبحث في الأمر

وقريبًا سنعلم مصدر تلك الثروة التي انهالت على عصام، ماذا لديك أنت؟

_كنتُ أريد شيئًا أبدأ منه ولكن وبمحض الصُدفة وجدتُ شيئاً قادني إلى النهاية مباشرة، لا أملك دليلًا حتى الآن ولكني أعتقد أن طارق قد قُتل على يد والده!

_أحمد مثل هذه الاتهامات تحتاج أدلة قوية، أنت تعلم أن والد طارق عضوًا مهمًا في حكومة الولاية، وهذا الأمر سيتسبب لنا بالكثير من المتاعب إن لم نكن نملك أدلة على مزاعمنا!

_أعلم هذا جيدًا، سآتيك بالدليل، أحتاج للقليل فقط من الوقت، ما وضع هديل؟

_بعد غدٍ ستنعقد جلسة المحكمة

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

عمـــاد أراد أن يُغلـــق التحقيـــق وتقـــديم الملــف للمحكمــة اليــوم ولكنــي طلبــتُ منــه تأجيــل الأمــر ليــومين، إن تمكنـــت مـــن حـــل هــذه القضــية ســنحول لــك ملــف هــديل ربمــا تجــد شــيئًا غفــل عنــه عمــاد وســنكون قــد أخَرنا ذهابها للمحكمة بعض الوقت.

_حسنًا.

نهضـــتُ وخرجـــتُ مباشـــرة مـــن المكتـــب، كنـــتُ أســـمع صـــوت بهـــاء الـــدين ينـــاديني ولكنـــي لا أرغـــب بالبقـــاء هنـــا، شـــعرتُ أننـــي أختنـــقُ بالـــداخل، أردتُ استنشـــاق بعـــض الهـــواء، ذهبـــتُ لمنـــزل طـــارق لمقابلـــة والدتـــه، وجـــدتُها فـــي الحديقـــة تنظـــر إلـــى الفراغ أمامها:

_مساء الخير سيدتي

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

آملُ أنكِ لا تمانعين جلوسي!

_أهلًا أحمد، تفضل يا بني.

_شكرًا لكِ.

جلستُ بجانبها وأطلقتُ عنان نظري يجوبُ الحديقة وأطرافها، صمت طويل لم يقطعه أحدنا، كيف سأسألها عن رأيها في زوجها وهل من الممكن أن يقتل ابنه؟ هذا سخف!

_هل هناك شيء؟ تبدو تائهًا.

_لا شيء بالتحديد جئتُ لأسألك عن بعض الأشياء.

_مازلتَ تسأل حتى الآن؟ هذا يعني أنك لم تكتشِف شيئًا بعد.

_ليس بعد ولكنني اقتربتُ كثيرًا

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

سيدتي هل تعلمين شيئًا عن شخص يُدعى ستيفن؟ ستيفن بوليس.

_لا، لا أظن أنني سمعتُ بهذا الاسم مطلقًا، مَن هو؟

_ألم تسمعي شيء عنه من قبل؟

_ستيفن بوليس؟ لا أعتقد.

صمتت قليلًا كأنها تُبعثر حقيبة ذاكرتها لترى إن كان لهذا الاسم مكاناً فيها، قالت وقد أدارت رأسها لي:

_أعتقد أنني قرأتُ هذا الاسم في مكان ما، آه لقد تذكرت، لقد وردت مكالمة في هاتف زوجي وكان اسم المتصل بوليس! أتذكر أنني حينما أخذتُ الهاتف لزوجي بدا غاضبًا جدًا مني، هو لا يحب أن

ألمس أشياءه وأن أتعامل بها وخاصة هاتفه وحاسبه.

_هل تذكرين متى كان هذا؟

_تلك المكالمة؟ أظن أنها كانت ليلة رأس السنة، نعم كانت في تلك الليلة.

_حسنًا.

_لم تخبرني مَن هو؟

_سأخبرك لاحقًا، الآن إئذنين لي!

يتبقى أن أضع الكُرة على الأرض وأواجه ذلك الرجل ولكن قبل ذلك ينبغي التأكد من أمر عصام وحسمه، ربما نجد حوله طرف خيطٍ آخر، لا يمكن أن يكون طارق منحه شيگًا على بياض دون سبب شخص مثل عصام لن يتحدث بسهولة،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ربمـا هـذه المـرة ينبغـي علينـا استضـافته، هاتَفـتُ بعـض الأفـراد وطلبـتُ منهم إحضـاره لـي، جلسـتُ خلـف مكتبـي أنتظـر وصـولهم ولـم تنفـك هـديل تقفـز فـي بـالي كـل حـينٍ، وضـعها يـؤلمني ولكـن مـا باليـد حيلـة، ينبغـي علـى صـاحب تلـك الألغـاز أن يتخِـذ خطوتـه المقبلـة لأعلـم مـاذا سـأفعل بعـدها، أعلـمُ أننـي سـأقتله هـذه المـرة ولكـن الخطـوة التاليـة تخصـه وينبغـي عليـه القيـام بهـا، أخبرونـي أن عصـام فـي دائـرة التحقيـق، ذهبـتُ إليـه ووضـعتُ أمامـه نسـخة مـن إيصـال الاسـتلام مـن البنك وسألته:

_هل يمكنك شرح ماذا يعني شيگًا على بياض؟

جحظت عيناه وبدأ جسده بالتعرُق

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وظل يتمتم بأشياء أكاد أسمعها، قُلتُ لتهدئته:

_أنظر أنا أعلم أنك لم تقتله فسبق وأن علِمنا مَن هو الجاني، ولكن لماذا يمنحك طارق شيكًا حرًا، أهي عملية ابتزاز؟

قال بصوتٍ متقطع:

_أنا لا أعلم أي شيء، لدي أشرطة فاضحة لطارق في أوضاع وأماكن مشبوهة أردتُ ابتزازهُ بها ليمنحني بعض المال، لم أعلم أنه سيُقتل بعد ذلك.

_كنتُ أتوقع هذا ولكن يؤسفني إخبارك أنك لن تستمتع بذلك المال؛ لن تجد وقتًا أو أماكن ممتعة في السجن لإنفاقه.

خرجتُ وتركتُه وسط انهياره وصراخه وأمرتُ بتحويله للمحكمة

والحجز على تلك الأموال.

_أحمد، لماذا تتجاهلني منذ الصباح؟

_سآتيك يا بهاء الدين، فقط امنحني بعض الوقت أو ربما بعض الأيام.

_أنا أعلم كل شيء.

نظرتُ إليه متسائلًا فاستطرد:

_أعلمُ بقضية هديل وكل تلك الضغوطات التي تواجهك، في الحقيقة كلنا نعلم هذه الأشياء وحزينون جدًا، نريد أن نفعل شيئاً لك، كيف يمكننا المساعدة؟

_حاليًا لا أحتاج شيئًا ولكن تأكد أنني لن أتردد إن شعرتُ بحاجتي لكم، أتمنى أن تعذروني فهذه الأيام يمضي وقتي ببطء ثقيل وبائس.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وضع يده على كتفي وهو يقول:

_نعلم، نعلم ولكن سنعود.

_حتمًا سنعود يا صديقي.

كانت هذه الكلمات كفيلة بإنتشالي من الحزن الذي يعتريني، سأظل طول عمري مُمتنًا لأصدقائي بالمكتب أولئك الذين يقفون بيني وبين الحزن دائمًا، يضعون أياديهم على كتفي ويخبروني أنهم هنا لأجلي، دخلتُ مكتب العميد بعد أن أخبروني أنه ينتظرني، نهض من مقعده وهو يحمل بعض الأوراق ويقول:

_طلبتُ أن تُجرى بعض التحريات حول طارق ووالده بعد أن أخبرتني بلقاء بوليس بأبيهِ وستتفاجأ من النتيجة!

_لن أتفاجأ إن لم يكن طارق ابنه أساسًا.

_وهو كذلك.

_ماذا؟

_لقد تفاجأت!

_تفاجـــأتُ نعـــم، كنـــتُ أشـــك بـــالأمر ولكـــن ليس لهذه الدرجة!

_هذا يعني أن زوجته تقوم بخيانته!

_شيء سخيف!

_أجل، الآن يمكنك أن تذهب وتُحضره!

_ولكننا لم نجد دليلًا بعد، ما الذي يُثبت أنه قَتَله؟

_هذا ما سيُخبرنا هو به.

_هل تعتقد أنه سيعترف؟

_لا أثق بذلك ولكن أما اعترافه هو أو اعتراف بوليس، وبالمناسبة إننا نراقب بوليس منذ ساعتين.

_حسنًا، لنذهب ونحضره.

كنتُ أجتاز طريق الجمهورية حينما اقتربت سيارة مني وكادت أن تصدمني لولا بعض مهاراتي في القيادة، ظلت السيارة خلفي وقد علِمتُ مَن بداخلها، يبدو أن أحدهم علِمَ أنني أسعى خلفه فأراد أن يتخلص مني، وردني اتصال من رقم مجهول، أجبتُ عليه:

_سيدي معك وكيل عريف محمد أحمد معك في المكتب، لقد تلقينا أوامر من العميد بمراقبة شخص يُدعى ستيفن وأعتقد أنه حاول قتلك للتو، إننا خلفه

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

مباشرة ونعلم أن السيارة التي استهدفها بوليس هي سيارتك.

_اه نعم، نعم، حسنًا لنفعل أمرًا، إلى الأمام قليلًا يوجد طريق اتجاه واحد متفرع سأذهب من خلاله، هل يعلم أنه مراقب؟

_لا سيدي.

_حسنًا عندما أتوقف تتوقفون وتنزلون، سنأتيه من اتجاهين ولنرى إن كان بإمكانه الطيران.

_حسنًا سيدي.

_هيا.

دخلتُ بطريق ذا اتجاه وحيد وتوقفتُ، نزلتُ من سيارتي شاهرًا سلاحي في وجه سيارته، ترَّجل هو ووَجَّه سلاحه

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

نحــوي ولكــن صــوت رصاصـــة فــي الهــواء جــاء مــن خلفــه جعلــه يرفــع أيديــه مستســلماً بعــــد أن رأى شخصـــــين فـــــي الخلـــــف شـــاهرين أســـلحتهم فـــي وجهـــه أيضًـــا، أرادوا تكبيله ولكنني أوقفتهم:

_آخــر مــرة اعتقلنــاه فيهــا نجــا منهــا دون عنـــاء، مثـــل هـــذا لا يســـتحق التحقيقـــات والمحـــاكم والســـجن، دعونـــا نـــتخلص منـــه هنــا ولنقُــل أنهــا مواجهــة، مرحبًــا بــوليس، هل تتذكرني؟

قـــال محمـــد أحمـــد: حســـنًا ســـيدي أيـــن سنُصيبه في الرأس أم القلب مباشرة؟

_لا، ســـتكون عـــدة إصـــابات واحـــدة فـــي قدمه وهذه هي

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أطلقتُ عليه رصاصة في قدمه وقلتُ وسط صراخه:

_والأخرى في كتفه الأيمن.

رفعتُ سلاحي لأُطلق عليه ولكنه استوقفني قائلًا:

_سأعترف بكل شيء، سأخبركم بكل ما تريدون معرفته، لا تقتلوني!

أشرتُ لمحمد أحمد ليأخذوه للمكتب، عُدتُ لسيارتي وأنا أبتسم، هذا هو الدليل جاءنا بنفسه، تذكرتُ أنني أحتاج دليلًا لبراءة هديل، اتصلتُ ببهاء الدين وقلتُ:

_هل مازلت تريد فعل شيء لي؟

_متى ما أردت!

_حسنًا، اذهب إلى هديل واسألها عن تلك الفتاة التي جاءتها يوم الحادثة، خذ

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

مواصفاتها وأحضرها لي وإن كانت في سابعِ أرض.

_لك ذلك.

أغلقتُ الهاتف وكنتُ أمام مدخل الشركة، دخلتُ مكتب والد طارق وجدتُه منهمكًا بكتابة شيء ما.

_سيد عبدالوهاب محمد نور.

رفع رأسه وقد صُعِق لرؤيتي، قلتُ:

_ما الأمر، هل تفاجأت لأنني مازلتُ حيًا؟

_لا، ماذا تقول؟

_سيدي وفِّر عنك عناء المراوغة لقد انكشف كل شيء الآن واعترف بوليس بكل شيء.

مد يده للدرج تحته وأخرج مسدسًا

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وقبل أن يُطلق منه كنتُ قد أصبتُهُ في قلبه فسقط على مقعده جثة هامدة، أبلغتُ العميد بما حدث وطلبتُ منه إرسال فريق إلى هنا مع سيارة إسعاف لأخذ الجثة، ذهبتُ من هناك لمنزل زوجته وأخبرتها بكل ما أعلمه، قالت:

_لقد اتصلتُ به بعد ذهابك وسألته عمن يكون بوليس؟

_لقد قلتِ له أنني أسأل عنه أليس كذلك؟

_نعم.

_لذلك حاول بوليس قتلي.

_ماذا؟

_نعم سيدتي، ستيفن بوليس هو أخطر القتلة المأجورين هنا ولكنه بحوزتنا الآن.

_وما علاقة زوجي به؟

_زوجــك لديــه علاقــة بكــل شــيء فقــد حــاول قتلي هو أيضًا.

_لا أصدق.

_بلــى ولكننــي قتلتــه قبــل ذلــك، ويؤســفني أن أخبــرك أنــه هــو مَــن قتــل ابنــك أيضًــا، فقــد اســتأجر بــوليس ليقتلــه وأراهــن أنــكِ كنتِ في القائمة أيضًا.

ســقطت المــرأة فاقــدة وعيهــا وبعــد الكثيــر مــن قِــرب المــاء وبعــض المهــدئات بــدأت تروي لي قصتها:

_لقــد كــان عقيمًــا لا يمكنــه الإنجــاب، وكنــتُ أشــتاق لطفــلٍ يمــلأ حيــاتي بهجــة، تعرفــتُ علــى رجــل وهــو أحــد أصــدقاءه، نشــأت

بيننا علاقة غرامية وكنا نلتقي في منزله بعض المرات أسبوعيًا.

انهمرت دموعها وغاصت في موجة بكاء لن تُجدي الآن، خرجتُ من عندها وعُدت للمكتب لقد فقدَت كل شيء الآن، ابنها وزوجها، يمكنها أن تتزوج عشيقها ذاك إن أرادت ولكنني أشك إن كانت لديها باقي روح لتعيش بها، خطرت في بالي أواخر الآية التي تحدثت عن الزنا {أنه فاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلًا} قلتُ في نفسي لم تنزل هذه الآيات عبثًا، جاءني العميد ومعه محمد أحمد، أخبروني بما حدث هنا، قال العميد:

_لقد اعترف بوليس بكل شيء، وفيما يخص مقتل عبدالوهاب سنقول أنها كانت مواجهة.

قلتُ: هي مواجهة فعلًا يا سيدي، لقد شَهَرَ الرجل سلاحه في وجهي، ماذا تريدني أن أفعل؟

_حقًا؟

_نعم، لا سبب لي لأقتله.

قال محمد أحمد: هذا صحيح سيدي، فقد وجدنا سلاحه على الأرض أسفل مقعده.

قال العميد وقد التفَ ليخرج:

_حسنًا، لنُغلق هذا الملف.

سألني محمد أحمد بعد ذهاب العميد:

_سيدي، هل كنت ستقتل بوليس بحق؟

ابتسمتُ وقلتُ له:

_في ذلك الوقت كنتُ أعلم كل شيء

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

ولكنني لا أملك دليلًا يُثبِت ما في رأسي، ولم يكن بوليس ليعترف بتلك السهولة ولكن حينما يواجه المرء الموت ويراهُ بعينه فسيكون مستعدًا لفعل كل شيء ليتجنبه وبوليس ككل شخص فعل ما بوسعه ليتحاشى الموت وهو لا يعلم أنه سيُعدم إن اعترف.

_أنت عبقري يا سيدي.

_أعلم هذا.

_ومغرور أيضًا.

قلتُ وأنا أضحك:

_وأعلم هذا أيضًا!

_حسنًا، سأدعك ترتاح قليلًا.

قبل أن يخرج ناديته:

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_محمد؟

_نعم؟

_شكراً لك.

ابتسم في وجهي وخرج، لا أعلم لِما شكرتُهُ ولكنني شعرتُ بشيء من الراحة بعدما عِرفتُهُ، بعض الأشخاص قد لا يفعلون شيئًا ملموسًا يستحق الشُكر والثناء ولكن وجودهم فقط يكون مفيدًا لأرواحنا، ذهبتُ لرؤية عماد وعندما لم أجِدهُ توجهتُ لمنزلي، الساعة تُقارب الرابعة عصرًا، سأذهب لتبديل ملابسي وأنال قِسطًا من الراحة وأخرج للقاء ذلك الشخص الذي تعرض للهجوم في المقبرة فقد أخبروني في المكتب أنهم عثروا عليه وذاهبون لإحضاره، وجدتُ

أبي على طاولة المكتب وأمامه الكثير من الأوراق، ما لفتَ انتباهي كان ظرفًا أبيضًا يتوسط كومة الورق، التفتَ أبي لي وملامحه لا تُفصح عن شيء.

سألتُهُ: هل هذا

قاطعني: نعم ولكن هذه المرة الأمر أصعب مما تتخيل.

_متى وجدتهُ؟

_صباح اليوم.

_ماذا يقول؟

مَدَ لي الورقة والتي كانت تحتوي على شيء من السخرية، ما كُتِب عليها يبدو أقرب لمحاولة طفل تعلُم الكتابة أقرب منه لجملةٍ مفيدة، كَتب بين سطورها

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

"ثهقتطشا وضثثث، حقثه هيبثدي، ذتخوث جزث نه طت بهني اسا ثهوشا ثيث وي ضتغلت ثهثيبثش!، ثيح تهزل"

قلتُ لأبي: ما هذا؟

_جنون هذا الرجل لا حدود له!

_هل توصلت لشيء؟

_ليس بعد، يبدو لي أنها شفرة من نوع ما.

_ليست مورس!

_لا، نوع آخر من الشفرات.

وردتني مكالمة من المكتب أخبروني أنهم وجدوا ذلك الشخص ميتًا في منزله، ذُبِح عنقه وجُر إلى غرفته، تذكرتُ حادثة مقتل حارس البوابة في سكن هديل مات مذبوحًا أيضًا

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

قلتُ لأبي: سأذهب لغرفتي، أخبرني إن علمت شيئاً.

_حسنًا، نِل قِسطًا من الراحة!

_عُلِم سيدي.

ذهبتُ لغُرفتي ورميتُ جسدي على الفِراش أدعو أن تنتهي هذه المصائب على خير، لا أعلم ما الذي يعنيه ذلك اللغز ربما قد مضى وقتُهُ ولكن ما يطمئنُني أنه لم يكن يُحدِد وقتًا ولكن ربما هذه المرة قد حدد ميقاتًا لجريمته، يضجُ رأسي بالكثير من الأشياء التي كادت أن تفتك به، حقًا لقد سئمتُ كل هذا وقد اشتاقت روحي لهديل وابتسامتها التي تمحو عنها عناء الحياة، خلدتُ لنومٍ عميق، استيقظت بعد الثامنة، بدلتُ

ثيابي وخرجت وجدتُ أبي حيثما تركته أمامه كومة من الأوراق.

سألتُ: هل من جديد؟

_للأسف!

_أعطني ورقة وقلم.

ناولني ما طلبتُ وأخذتُ اللغز وبدأتُ أفكر، شفرة مورس عبارة عن نقاط وحروف وشرطة مائلة لفصل الكلمات، هنا هو يفصل الكلمات بالفاصلة، ليست مورس.

صحتُ: لقد تذكرتُ، شفرة القيصر.

سألني والدي وقد استيقظ من غفوته التي لم تتجاوز الثلاث دقائق:

_ما هي شفرة القيصر؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_هي نوع من تشفير الرسائل كان يُستخدم قديمًا ولكن دعني أتأكد، قُل لي ما هو أول حرف في أول كلمة في اللغز؟

وبدأ والدي يقول لي الحروف وأقوم باستبدالها كما في الشفرة حتى كتبتُ الكلمتين الأوائل، قلتُ:

_هي إذًا شفرة القيصر!

سألني أبي ولم يفهم بعد:

_كيف تقوم بتفكيكها؟

_الشفرة هي استبدال الحرف الأصلي بالحرف الثالث منه، أي حرف الألف يكون حرف تشفيره هو الثاء، والباء حرف تشفيره هو حرف الجيم وهكذا.

_كيف تعلم بهذا؟

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_كنتُ مهتمًا بشفرات الكتابة في وقت سابق.

واصلنا تفكيك الكلمات حتى آخر كلمة وقد اتضح ذلك اللغز اللعين أخيرًا: "العاشرة مساءً تعال لنتواجه حيثما بدأ كل شيء ولكن هذه المرة أنا مَن سيطفيء الأنوار، أنت الهدف".

قال والدي متسائلًا:

_الساحة؟

_نعم.

_ما خطتك؟

_لا خطة لدي.

_كيف؟

_هذا جيد على الأقل لن يستطيع توقُّع تحركاتي.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

أصر والدي على الذهاب معي ولكني رفضتُ بشدة، هذه معركتي أنا وسأخوضها وحدي، خرجتُ من المنزل وقُدتُ السيارة نحو ساحة الحرية، مازال الوقت باكرًا ولكن يمكنني تفقُد أرض المعركة قبل وقتها، تنتابني رغبة قوية للذهاب لرؤية هديل، شوقٌ جارف يجرني إليها ولكن لن أستطِع النظر بعينيها وأنا خالي الوفاض، ينبغي أن يكون دليل براءتها بيدي حينما أراها، هذا ما وعدتُها به، لم يعاود بهاء الدين الإتصال بي، إيجاد فتاة لا تعلم عنها شيئًا يحتاجُ وقتًا أطول من هذه الساعات وصلتُ الساحة ووجدتُها مغلقة يقولون أنهم يقومون ببعض أعمال الصيانة،

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

دخلــتُ وجلســتُ فــي ركــنِ المســرح قريبًــا مــن مكــان أول حــادث فــي سلســلة الألغــاز هــذه، هنــا حيــث بــدأ كــل شــيء، إذًا صــاحب اللغــز اختــار المكــان بعنايــة، ســاحة كبيــرة لنــا نحــن الأثنــان دون تحكــيم أو جمهــور، لقــاء واحــد ضــد واحــد، أحيانًــا أتســاءل مــا الــذي فعلتُــهُ لــه ليكرهنــي وينــتقم منــي بهــذه الطريقــة ولكــن الغيــرة وحــدها تكفــي للعــداء والقتــل، أنــا أعلــمُ مَــن هــو وأتلهــفُ كثيــرًا لتلــك اللحظــة التــي ســيقف فيهــا أمــامي، كنــتُ أنتظــر هــذه المواجهــة منــذ وقــتٍ طويــل، انتظرتُــه أن يتحلــى بالشــجاعة الكافيــة لمــواجهتي بــدلًا مــن التخفــي وضــربي تحــت الحــزام، ويبــدو أن هــذه اللحظــة قــد حانــت، أخطــأتُ إصــابته المــرة

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

الأولـى ونجـح فـي الفـرار فـي المـرة الثانيـة ولكننـــي لـــن أدخـــره هـــذه المـــرة، التاســـعة والنصـــف مســـاءً، نصـــف ســـاعة تفصـــلني عـــن لقـــاءه، لا أحـــد فـــي الأرجـــاء ســـوى عامـــل نظافـــة يقـــوم بـــالتجول حـــاملًا ســـلة مهمـــلات، لـــم يتـــرك مكانًـــا إلا وذهـــب إليـــهِ يلـــــتقطُ العبـــوات البلاســـــتيكية والأكيـــــاس وبعـــض مخلفـــات الأكـــل، رن هـــاتفي وقـــد كان مَن تمنيتُهُ:

_بهاء الدين قُل لي أنك وجدتها.

_وجدناها يا صديقي.

_وجدناها؟ مَن معك؟

_قلـــتُ لـــك أننـــا نريـــد فعـــل شـــيء لـــك، لســـتُ وحـــدي يـــا أحمـــد ولســـتَ وحـــدك، المكتـــب

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

كلـه خلفـك فـي هـذه المعركـة، وربمـا لأننـي لستُ وحدي قد تمكنّا من إيجادها سريعًا.

_أقدِر لكم هذا حقًا، ماذا تقول الفتاة؟

_لـم نتحـدث معهـا، أردنـا أن تـأتي أنـت وتستجوبها بنفسك.

_لا أسـتطيع المجـيء الآن، يمكنـك أن تسـتجوبها ولكـن يـا بهـاء الـدين احـرص علـى أن تكـون وحيـدًا وأن لا تُخبـر شخصًا بما ستقوله لك!

_يبدو أنك تعلم ما الذي ستقوله!

_أعلمُ نوعًا ما.

_ماذا يعني هذا؟

_لا شـيء، فقـط افعـل مـا قلتُـه لـك واتصـل بي أول ما تخرج منها.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_حسنًا.

_شكرًا يا صديقي.

_ليس بيننا يا رجل!

قبل أن أغلق الخط جاءت مكالمة من والدي، مكالماته ستكثر في هذه الأوقات أعلم أنه يكون على أحَرَ من الجمر الآن، سيكون قلِقًا جدًا لذلك لم أستطِع تجاهل اتصاله:

_نعم يا أبي.

_أين أنت يا أحمد، ما الذي حدث؟

_لم يحين الوقت بعد، على رسلك!

_أرى أنه من الأفضل أن تتصل بالمكتب لا ينبغي أن تذهب وحدك.

_لا داعي لهذا يا أبي، لا تقلق سأكون بخير.

_العاشرة وخمس دقائق سأتصل بك وإن لم تُجيبني فسأخبر المكتب فورًا.

_حسنًا، خمس دقائق كافية لأقضي عليه.

_لا، لن تفعل، كل ما يتوجب عليك فعله هو اعتقاله.

_حسنًا يا أبي سأغلق الآن.

_أحمد.

_نعم.

_كن بخير!

_إن شاء الله.

تبقت ربع ساعة، يريدني أبي أن أعتقله مثله لا يستحق الحياة وقد أقسمتُ أنني

سـأخنقه بيـداي، لا مفـر مـن المـوت اليـوم، لا أعلـمُ عـن القـدر ولكنـي سـأحرص علـى مقتلـه، مكالمـة أخـرى مـن بهـاء الـدين، فتحتُ الخط وانتظرتُه ليتحدث، قال:

_هل كنت تعلم؟

_نعم، لقد شككتُ بالأمر منذ اللغز الأول.

_هل هو صاحب الألغاز أيضًا؟

_نعم هو نفسه، يحاول النيل مني بشتى السُبل!

_ولماذا لم تخبرني؟

_ماذا سأقول لك؟ هل كنت ستُصدقني حينها؟

_نعـم، سـأفعل، لـن أتـرك لـه هـذا الأمـر، سيدفع ثمن ما فعله بك غاليًا.

_لن تستطيع فعل شيء

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

لقـد حُـدِدت المواجهـة بيننـا وفـي الواقـع ربمـا يأتي في أي لحظة الآن، يجب أن أُغلق.

_ماذا يعني هذا؟ أين أنت؟

_لا يهـم أيـن أنـا ولكـن عِـدني أنـك سـتُخرج هـديل وقـد بِـتَ تمتلـك دليـل براءتهـا، هـذا إن لم أعُد أنا.

_كفاك سخفاً، قل لي مكانك.

رأيـتُ عامـل النظافـة الـذي كـان حـولي منـذ مجيئـي يقتـرب منـي وقـد رمـى مـا فـي يـده وقـام بوضـع قِناعًـا علـى وجهـه، توقـف علـى بُعـد أمتـار قليلـة منـي، ابتسـمتُ لا إراديًا وقلتُ لبهاء الدين:

_لقد تأخر الوقت كثيرًا يا صديقي.

أغلقتُ الهاتف ووضعتُهُ في جيبي

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وأنا أنهض وأتوجه نحو ذلك الرجل، قلتُ:

_لقد ظننتُ أنك تحليتَ بالشجاعة الكافية لتواجهني، ما الداعي لهذا القناع؟ هل لتُخفي وجهك خلفه أم هو لإخفاء فشلك وحِقدك، لم تستطِع هزيمتي بالطرق النبيلة المُباحة، لم تُمنح تلك الميداليات لوجودي أمامك فأردت التخلص مني؟

نزع قناعه وقال:

_إذًا فأنت تعلم كل شيء.

_لم أصبح أفضل متحرٍ من فراغ.

_غرورك هذا يثير غيظي اكتفيتُ من ترهاتك هذهِ.

_حسنًا، قل لي شيئًا ما ذنب تلك الفتاة البريئة؟

_ذنبها أنك تُحبها.

_وذلك الرجل الذي غرستَ سكينك في بطنه في ذات المكان الذي تقف فيه الآن، لا أذكر أنني أعرفه أو أحبه؟

_لا هذا كان مجرد بداية ويُعتبر خسائر جانبية في هذه المعركة ولكنه محظوظًا إذ لم يمُت.

_لم تذهب لذبحه كما فعلت مع ذلك الصحفي.

_هذه قصة أُخرى، كان هناك ثأرًا بيننا.

_هناك ما يشغل بالي، كيف استطعت دخول منزلي كلما أردت ذلك؟

_بحقك يا رجل، أنتَ الأفضل على الإطلاق ألا يُمكنك توقع هذا الأمر؟

_أخبرني أنت.

_ليس من الصعب الحصول على مفتاحك

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

وإجراء نسخة له!

_نعم، هذا صحيح، ألم تستطِع مواجهتي رجلًا لرجل؟

قام بفرد يديه وهو يقول:

_ها أنا ذا.

في هذهِ اللحظة سمعتُ صوت رصاصة وسرعان ما سقط عماد أمامي، ظهر خلفه شابٌ يتصاعد الدخان من فوهة سلاحه، أراد أن يُطلق علي ولكنني أصبتُهُ في صدره فسقط هو الآخر، دنوتُ من عماد فوجدتُهُ قد فارق الحياة، لقد مت في اللحظة التي أصبحت فيها رجلًا يا صديقي، دقائق قليلة وجاء بهاء الدين مع بعض القوة، قد يكون والدي

أخبـــرهم أو يكونـــون قـــد تتبعـــوا موقـــع هـــاتفي، لا شـــيء يصـــعب علـــيهم، اتصـــل والـــدي فأخبرتُـــهُ أننـــي بخيـــر وأن كـــل شـــيء قـــد انتهـــى، أحسســـتُ براحتـــه واطمئنانـــه فـــي صـــوته وكلماتـــه، ســـحبتُ بهـــاء الـــدين من يده وقلتُ له:

_مَن هذا الشاب؟

_الشـــباب يقولـــون أنـــه ابـــن ذلـــك الصـــحفي الذي عثروا عليه مقتولًا في منزله.

_لقد انتقم لوالده إذًا!

_نعم، أنت مَن قتلته صحيح؟

_نعم.

_عماد يستحق هذا، لقد نال جزاء أفعاله.

_بهاء الدين سننسى هذا الأمر هنا

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

كُنــا أنــا وعمــاد نجلــس بالســاحة كــأي زميلــين وقــد هاجمنــا هــذا الشــخص فأصــاب عمــاد وقُتِــل هــو، ســيُغلق ملــف ذلــك الصــحفي وســتُغلق هــذه القضــية بهــذا الأمر، وستنسى اعتراف تلك الفتاة.

_ولكن عماد هو مَن

_لقــد تــوفي يــا بهــاء الــدين، نــال جــزاء أفعالــه كمــا قُلــتَ قبــل قليــل، لا داعــي لأن نسلب احترام الآخرين له بعد موته.

_وهديل، كيف ستتمكن من إخراجها؟

_سأتحدث إلى العميد بشأنها.

_إذًا ستُخبره بحقيقة عماد.

_لا، سأجِدُ طريقةً أُخرى.

_حسنًا، كما تشاء، لدي سؤال.

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

_قل.

_كيف علِمت أنه عماد؟

_في المرة الأولى حينما تواجهنا هنا بعد اللغز الأول أصبته برصاصة، بعدها اتصلت أنت بي وأخبرتني أن عماد تعرض لإطلاق نار في إحدى المداهمات، وحينما سألتُك ومَن كان معه فإن أحدًا لم يرَهُ يتعرض للهجوم فقد كان وحيدًا في سطح المنزل، وأحدًا لم يرَ مَن هاجمه فقد قال هو أنهم قفزوا للمبنى المجاور وهربوا، هنا شككتُ فيه، في اللغز الثاني وهو في اليوم التالي مباشرة، بعد أن خرجنا من منزله وتواعدنا على أن نلتقي مساءً في المطعم، لقد أتيتُ متأخرًا للمطعم بسبب اللغز، لم أستطع

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

القـــدوم إلـــيكم فقـــد كنـــتُ مســـتاءً بعـــض الشـــيء، حينهـــا لاحظـــتُ عمـــاد جـــاء متـــأخرًا فشـــككتُ فيـــه مـــرة أخـــرى، وحينمـــا أوصـــلتُ هـــديل للسَـــكن ليلـــة اعتقالهـــا، رأيـــتُ عمـــاد فـــي آخـــر الشـــارع فتأكـــدتُ مـــن الأمـــر ولكننـــي ظننـــتُ أنـــه يريـــدني أنـــا، لـــم أعلـــم أنـــه سيســـتغل هـــديل لإســـقاطي، ذلـــك الصـــحفي الـــذي قتلـــه هـــو ذات الشـــخص الـــذي كتـــب عنـــه مقـــالًا قبـــل عـــدة أشـــهُر، قتلـــه بـــدافع الإنتقـــام، وذلـــك الحـــارس فـــي السَـــكَن وهـــذا الـــذي أُصـــيب هنـــا ليلـــة رأس الســـنة، لـــم تكـــن لهـــم علاقـــة بـــالأمر، هـــم خسائر جانبية كما قال هو.

_لم أعلم أنه معتوهًا لهذه الدرجة.

_الرجل ميت يا بهاء الدين.

_يستحق ما ناله.

عـــدنا للمكتـــب وقـــد تحـــدثتُ للعميـــد بشـــأن هـــديل، أمَـــرَ بـــإطلاق ســـراحها لعـــدم اكتمـــال الأدِلـــة، اضـــطررتُ أن أُخبـــره بـــأمر عمـــاد بعـــد أن أقفلّـــت السُـــبل فـــي وجهـــي لإخـــراج هـــديل، وعـــدني أنـــه سينســـى أمـــر عمـــاد هنـــا وقـــاموا بتســـميته بشـــهيد الواجـــب وقـــد مـــات دفاعًـــا عنـــي، نحـــن الثلاثـــة فقـــط مَـــن نعلـــم بحقيقـــة الأمـــر وقـــد تناســـيناها، حينمـــا هممـــتُ بـــالخروج مـــن مكتـــب العميـــد أوقفنـــي قائلًا:

_حضـــرة النقيـــب، وزارة الداخليـــة تـــدعوك لزيارتها غدًا.

هـــذه المـــرة هـــو لـــم يُخطـــيء فـــي رُتبتـــي، فـــي الواقـــع هـــو لـــم يُخطـــيء فـــي المـــرة الســـابقة

أبـــدًا ولكننـــي لـــم أفهـــم، كـــان يعلـــم بـــأمر الترقيـــة منـــذ مجيئـــه إلـــى هنـــا، غـــدًا ســـأذهب للـــوزارة وأؤدي ذات الطقـــوس التـــي أقـــوم بهـــا كـــل ســـنة، يخبروننـــي بـــأمر الترقيـــة ويحـــددون يومًـــا لتكريمـــي فيـــه أمـــام عـــدد مـــن طـــلاب وجنـــود وضـــباط كليـــة الشـــرطة ثـــم أعـــود لـــذات الوضـــع وذات الـــركض خلـــف الأدلـــة والحقـــائق، ذهبـــتُ إلـــى هـــديل وأنـــا أحمـــلُ أمـــر الإفـــراج عنهـــا، قدمتُـــهُ لـــرئيس القســـم ثـــم أخـــذت مفتـــاح زنزانتهـــا ودخلـــتُ إليهـــا، تبـــدلت ملامحهـــا كثيـــرًا كانـــت أشـــبه بـــوردة اقتربـــت مـــن الـــذبول، فرهـــدت خـــدودها عنـــد رؤيتـــي، أمســـكتُ كِلتـــا يـــديها وقبَّلتهُما وأنا أسألها:

_هل تتزوجيني؟

رنَ هـــاتفي قبـــل أن تُجيبنـــي وقـــد كـــان العميد، ماذا يريد هذا الآن، أجبتُهُ:

_نعم؟

_لديك قضية جديدة!

تســاءلتُ فــي نفســي، متــى انتهينــا لنبــدأ، رفعــتُ رأســي إلــى هــديل فوجــدتُ ابتســامتها قــد عــادت تُــزيِّنُ ثغرهــا وهــي تشِــدُ علــى يدي، سألتُ العميد:

_ما هي؟

_موت أصفر.

تمَت بحمد الله

القاتل المُتنكر

إستيقظ المحقق أحمد على صوت خطوات فـ منزله خرج ليرى ماذا هناك لم يجد أحدًا بـ المنزل ولكنه وجد ظرفًا غامضًا يحتوي على لغزٍ صغير يحمل تفاصيل جريمة قتل ستحدُث فـ اليوم المقبل الأمر عبارة عن تحدي خاضه القاتل وأقحم المحقق أحمد فيه لـ كونه افضل المحققين فـ وقته فرع الجريمة سيوكل مُهمة أخرى لـ أحمد مما تجعله لا يملك الوقت لـ فك طلاسيم ذلك اللغز وانقاذ احدهم من براثن الموت

إسماعيل عمر إسماعيل

نسمات الأدب

مديرة الدار : رزان مُحمد

تصميم الغلاف : فوفا مُحمد